صمتًا رجاءً

مجموعة قصصية

الطبعة ٢

حسن أشرف

صمتاً رجاءً

عنـوان الكتـاب: صـــــــــمتًا رجـــــــــاءً
الموضـــــــوع: مجموعـــــــة قصصـــــــية
التـأليـــــــف: حســـن أشـــرف حســـن أحمـــد
مراجعـة لغويـة: مهـــــــــا الســـــــــيد
الإخـــراج الفنـــيّ: عمـــــرو ســـــالم ســـــواح
تصـميم الغـلاف: فـــــــارس إيهـــــــاب
رقـــم الإيـــداع: ٢٧١٦٢ /٢٠١٩
التـرقيم الـدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٣٥-١٧٩-٨
الناشر : زحمة كتاب بالتعاون مع اسكرايب للنشر والتوزيع
اسكرايب للنشر والتوزيع :Facebook Page
Email:scribe20199@gmail.com
Tel: 00201005079256

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار
اسكرايب للنشر والتوزيع

كل الحقوق محفوظة
لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

مجموعة قصصية

صمتًا رجاءً

حسن أشرف

إهداء

إلى أبي وأمي دومًا.

إهداء إلى كُل مَن:

دائمًا يجعلون مني شخصًا

يجب عليه أن يحظى بالطُعام،

أتدري يا رفيق الدرب،

دائمًا يحطمون الآمال والأحلام،

لم يكفوا عن الضرب،

بَل يضربون بكُل قسوةٍ.

المقدمة

مِن دواعي سروري أن يكون هذا الكتاب مصدر إلهامٍ، مُتمنيًا أن أكون قد نجحت في توصيل قدرٍ بسيط مِن الأفكار، مُتمنيًا أن يكون على المستوى اللائِق و يجذب انتباه القارىء .

-ماذا تكتب؟

أكتُب عن فراقنا،

فشلنا، عن خيْبة آمالنا،

أكتُب عن العلاقات في حياتنا .

-لمَن تكتُب؟

أكتُب لبائِعي الورود،

ولبائِعات الهوى أيضًا .

-لَمن تكتب؟

أكتب للنائمين على الأرصفة،

أكتُب لَمن يعتريهُم الإحباط والخزى،

أكتُب لَمن يُريد كِسرة خُبزٍ ولم يجدها .

-لَمن تكتُب؟

أكتُب لَمن اتخذ مِن المُعاناة فكرًا

وهج النار

رأيت وهج النار، هو يُصارع ويأكل كل ما يقف أمامه مِن عشبٍ، وأشجارٍ، وأوراقٍ مُتساقطة، يأكل كل شيء، وأي شيء يقف أمامه، ولا أحدٌ يدري، ولكِن هناك كوخًا خَشبيًا أعلى شَجرةٍ ما في تِلك الغابة، كوخٌ يبعد ذَلِك الوهج الناري بحَوالي خَمسين كيلو، داخل ذَلِك الكوخ أُمٌ تقوم بعمل الغداء في الساعة الثالثة عصرًا وابنتها الصَغيرة نائمة نومًا خفيفًا حتى يصبَح الغداء جاهزًا، وفي نومها حلمَت بذلك الوَهج الناري المُتمَدِد وهي تَقِف في شُرفة غُرفتها ووَجهِها شاحب مِن الرُعب حينَ رأت ذَلِك المنظر المُرعِب، وسُرعان ما استيقظت مفزوعةً وراحت تجري نحو المطبَخ؛ لتُخبِر أُمها بذَلِك الحُلم المُرعب ليس حُلمًا بَل كابوسًا، وظَلت تَحكي لأُمها؛ خَوفًا مِن أن يتَحقق ذَلِك الكابوس المُخيف، أُمها هدأت مِن روعها؛ فالأُم تعلم بأن هُناك شيئًا مريبًا يحدُث في الغابة حقًا حينَ لاحظت مِن شُرفة المطبخ، الطيور تطير في هَرولةٍ تكاد أن تسقُط مِن هرولتها إلى الأرض، وأيضًا الأغنام و كل دابةٍ تجري بهرولةٍ.

-هل ابنتي تتنبأ ما يحدُث بالمستقبل حقًا؟! لقد رأيتُ الحيوانات والطيور تُهرول كأنها غاضبةٌ مِن شيء، تُريد إنقاذ نفسها. هل هذا معقول؟! ابنتي مُحقة. ماذا أقول لها بعد أن هدأت مِن رَوعِها؟هل ذَلِك الوهج الناري قادم حقًا؟ أنا رأيت الحيوانات تسرع وتسرع خوفًا مِن مصيرها المحتوم لتُنقِذ نفسها، نعم إنها غَريزة البقاء تسيطرعلينا جَميعًا حتى نحن البشر، القلق مستمر داخل عقلي. ماذا أفعل ؟ ليس لدينا ملجأً آخر إلا ذَلِك الكوخ الذي

تركه أبي لي قبل وفاته، لقد هجرني زوجي، تركني وحيدة أنا وابنتي، هو يستمتع بحياته في المدينة، وأنا هُنا في الغابة مع بعض مِن المُزارعين يعطوني أجرًا؛ إنني أعمل معهُم، يعطوني بعضًا مِن القمح الذي أصنع مِنه الخُبز، يعطوني أيضًا الفاكهة.

ماذا أفعل ؟ أنا الآن أرى ذلك الوهج مِن بعيد، خائفة جدًا على ابنتي، لو لاحظت أن حُلمها يتحقق، يَقترب، يَقترب أكثر، وفجأةً حدث شيءٌ ما لم أكن أتوقعه، لقد أمطرت السماء مطرًا غريزًا، بدأ ذلِك الوهج بالانخفاض تدريجيًا قبل أن يصل إلى كوخي.

لقد رأيت وهج النار يعلن استسلامه ويأسه حين فقد آخر شعلة كان يُصارع لإبقائها حية ولم يفلح، أصبح دخانًا طائرًا ورمادًا يتناثر في الهواء الطلق، وبعد ذلك القلق والتوتر، حظيت بالغداء أنا وابنتي.

*****

مُناجاةُ المَنبوذ

الريح لن يَكون نِسمةً إذا انحنى الشجر، الأمل هُناك على الضفة الموازية لضفتي هُنا، أراه مِن بعيد لكنه أمامي. ما الذي يَمعنك مِن الوصول إليه؟

بحرٌ، بحرٌ هائج أمواجه، يحطم كل قارب ينافسه في مرور هياج أمواجه، البحر لا يحب المُنافسة، مصيرك محتومٌ إذا نافسته؛ سيحطم قاربك، سوف تلقى حَتفك داخِل أعماقه، وستحظى كائِناته بوَجبةٍ لذيذة، هكذا الريح، يأمل أن يَكون نسمةً مع انحناء الشَّجر، لَن يفلح فالخوف ينجب التردد، يَجب عليَّ أن أصِل، أملي لن يضيع هباءً، سوف أصل إليه، يجب أن أضع سلاح ردع للتغلب على خَوفي الذي ينجب التردد، رجاءً أيُها القدَر كُن معي، لا تسخر مني؛ لأني أملك الأمل، سأكون مُمتنًا لك إذا كنت بِجانبي، لا أُريد أن أكون ضَحيةً داخل أعماق هياج أمواج البحر، لَيس مِن العدل أن يكون لي أملٌ، ثم ألقى حَتفي داخِل أعماق هياج أمواج البحر، سوف أُحاول جاهدًا سرقِة لحظة استطاعة بإرادة من السماء، دائمًا نشبع رغباتنا على حساب مصيرنا، لا أُريد الموت على طَريق الهاربين مِن الحقيقة، الخوف الهستيري ينتج أيضًا الأمل الهستيري، حين يصبح الخوف، خوفًا هستيريًا يُسمى بالرُهاب أو الخوف الغير عقلاني، كوجود خطرٍ ما محتمل حدوثه في المستقبل، تنشأ استجابة الخوف من تصور حدوث شيءٍ يؤثر على الحياة أو فقدان القشة التي تكمن كدليل على وجود الأمل.

-ما الذي تنوي فعله يا حسين؟.

-سوف أمسك بالقشة، أعلم إنها لن تتحملني، لكن المحاولة خيرعلاج لإيقاف الشك على وجود الأمل من عدمه، أتعلم يا باسم، أُحب أن أشبه نفسي بتلميذٍ يملأه الشغف في حضور الدرس، من حضن اليأس لنور الأمل.

- كفى يا حسين.

-لا وجود لليأس، لا وجود للأمل، مجرد شعور أحداهما سلبي والآخر إيجابي، أريد أن أُوضح لك شيئًا طريقة التفكير سواء سلبية أو إيجابية مجرد انعكاس ناتج عن تَصوراتك، أنت تريد أن تمسك بالقشة، القشة هنا هي ثُريا، القشة أمل ولكن ضعيف، ثُريا أمل ولكن ضعيف، ضعيفٌ لك، قوي لي، أترى الانعِكاس؟ سوف أشرح لك.

-يبدو لك حبك لثُريا حبك أنت لها، شعور إيجابي لأنك تحب، لكن.

- ما الذي دَفعك لحب ثريا؟

-أتعلم، يا باسم، أحببتها، لقد تعمقت، تعمقت داخل أعماق روحها، تعاملني بلُطفٍ، وودٍ، حُبٍ، سلام نفسي بداخلي لمجرد النظر لها.

-هل رأيت الانعكاس الآن؟

-لا، اشرح لي، ما الذي يدور داخل رأسك؟

-حسنًا، أولًا: هي زوجتي، ثانيًا: هشاشة النفسية يا حسين، هشاشة النفسية، تهيم بأي إنسان، تجعلك تتوهم به حُبًا.

-هل رأيت الانعِكاس الآن؟

-رأيت، وأصبحت منبوذًا في نظرك الآن، ليسَ في نظرك فقط، في نظر ثُريا أيضًا.

-باسم، لماذا تتحملني؟

-لأنك صديقي، يكفي ألا تكون مؤذيًا، أنت لست منبوذًا يا حسين، لا في نظري، ولا في نظر ثُريا، أرأيت يا حسين؟ رحّب القدر بمناجاتك بصدرٍ رحِب، لن تكون منبوذًا بعد الآن، سوف نهيم حبًا لِنتَجنب هشاشة النفس.

*****

كفى احتفالًا

في إحدى المقاهي كالعادة مزدحمة اعتادوا على مشاهدة المُباريات الهامة، حيث أجلس وحيدًا أمامي منضدة صغيرة وزجاجة المياه الغازية التي أحتسيها لا يهم لونها، لكن لونها أسود أعتدت على احتساء ذلك اللون المعبرعن أي مأساة؛ فنحن كمصريين نتخذ ذلك اللون تعبيرًا عن المأساة، مزيدًا من الانقسام ما بيني وبين العدد الهائل الذين يهتمون بالمباريات، حين يأتي الهدف الأول تتعالى الصرخات التي يرتعش جسدي بسببها؛ لذلك أضع سماعاتي لكي أتجنب رعشة جسدي النابعة مِن صرخاتهم بأول هدفٍ؛ لأنه أمل لذلك الفريق للفوز بالبطولة، حين يخيب الفريق نظر المشاهدين ينعتونه بأحقر الكِلمات البذيئة لذلك لا أهتم بمشاهدِة المباريات لكوني لم أجد النشوة التي أريدها من خلالها، أراهم جميعًا في قمة تركيزهم على فوز الفريق. سؤالٌ يطاردني للنفس الأخير؛ ضحية في المؤامرة، الغرب يتآمرعلينا، هم يقولون ذلك، نعم، كل من يفكر تفكيرًا منطقيًا، هو ضحية في رؤيتهم للغرب بأنه يتآمرعلينا نحن ضحايا.

-هل الخيانة بداخلنا ثمرة؟

نعم، نحن خائنون؛ لكوننا لا نتبع تفكيرالقطيع؛ لذلك بداخلِنا ثمرة تسمى الخيانة، لا بأس من ذلك أترك التطفل واتركونا على ما نحن عليه.

كفى احتفالًا؛ الاحتفال الذي أقصده ليس احتفالًا بمشاهدة المباريات، كفى احتفالًا لكونه وُلِد بإعاقة ما، قدر الله مماته حيًا بسبب دس كلامكم؛ لكي تنعموا بالسعادة في إهانة شخصٍ ليس له يدٌ فيما عليه الآن، كفى احتفالًا بتمزيق خلاياه الحسية بداخله لكي تنعموا أنتم بالسعادة.

عم مؤمن ذلك الشخص الذي دائمًا يجلس على المقهى وحيدًا متأملًا الكم الهائل من الذين يهتمون بالمباريات، عم مؤمن منذُ ولادته كانت ولادته متعسرة؛ فقد والدته حين أنجبته، بدأ يكبر بعض الشيء وكلما كبر يرى بعينٍ واحدة، العين الأُخرى الغير محفورة في وجهه الذي أصبح شاحبًا حين اكتشف إعاقته، طفل يلعب مع جيرانه الأطفال في الحارة ينعتونه الأعور، أصبح مؤمن الأعور، في كل لحظة يلعب فيها معهم ينعتونه بالأعور.

والده عم حسين يعمل في ورشته الخاصة، ورشة صغيرة تحت منزله، حين أصبح عم مؤمن شابًا، بالرغم من الدخل القليل الذي يَجنيه عم حسين اشترى له نظارة سوداء اللون؛ لكي تخفي العين الغير موجودة، هذه فائدة اللون الذي يُعبِرعن مأساة هي الإخفاء، لكن عم مؤمن في شبابه لم يسلم من كلمة الأعور، جيرانه ينعتونه بها منذ الصغر؛ لأنه تربى معهم لذلك يعرفون إعاقته، انفجر عم مؤمن في جيرانه كفى احتفالًا بإعاقتى، ارحموا مَن في الأرض يرحمكُم مَن في السماء. أنتم شياطين، أم ماذا؟ ماذا لو لم ننشأ سويًا وكبرنا سويًا؟ ماذا لو كنت غريبًا كنت تلقيت ضربكم بسبب إعاقتي؟

كفاكم احتفالًا، كفاكم إفراط في إهانتي، يا ليتني لم أُخلق، يا ليتني كنت ترابًا، ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا.

عم مؤمن في سن شيخوخته اعتاد جلوس المقهى وحيدًا متأملًا في زجاجته، حين جاء الهدف الأول المصاحب بصرخات المشاهدين، يا عم مؤمن، يا أعور، هدف هدف يا أعور، صحيح أنت أعور لن تراه. توفي عم مؤمن جالسًا على مقعده وحيدًا، توفي ولم يسلم طيلة حياته من الإهانة، ويبقى السؤال لماذا؟؟؟

*****

سُلطة الأبوة

الحياة عقاب الجبان، الجُبن نقيض الحياة فالجبن يميتك حيًا، لن يحميك من الموت ذاته.

مُدلل منذ صغره، يطلب الأب ينفذ هو دون مجادلة، لن، ولن يشقى سواء والده حيًا أو بعد موته، ولكن والده كان دكتاتوريًا بعض الشيء، دكتاتوريٌ في منزله فقط، أمامهم محافظ جدًا على عادات وتقاليد المُجتمع، كمٌ هائل من الأموال الطائلة داخل البنوك الإلكترونية، أراضٍ، مزارع دواجن، سلسلة فنادق ذات الخمس نجوم، مطاعم، بارات، يكاد أن يمتلك ربع الدولة من ممتلكاته.

مهند ابن بائس، يرى والده رجلًا ناجحًا أمام الجميع، فاشل في احتواء عائلته، مهند في ربع قرنه، بحكم دراسته في الخارج اتخذ فلسفته مجرى لحياته؛ ولأنه يكره الدكتاتورية بشكلٍ عامٍ، وجدها في والده؛ الدكتاتورية هي شكل من أشكال الحكم المطلق، حيث تكون سلطات الحكم محصورة في شخصٍ واحدٍ، وجدها في والده، دكتاتوري داخل عائلته فقط. ولأن التمرد يتملّك من خلايا عقل مهند؛ كونه رافضًا أن يمارس والده عليه الدكتاتورية، مهند الأخ الأكبرلإخوته، فهو أشد تأثيرًا على إخواته، الذي يقرأ يبذل مجهودًا كبيرًا من الذي لا يقرأ. يتكلم مهند دائمًا محدثًا إخواته عن الاشتراكية؛ الاشتراكية هي نظام اجتماعي يمتاز بالملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، فهي الإدارة التعاونية للاقتصاد، فلسفة سياسية تحث على إشباع المتطلبات

الاقتصادية، والحاجات البشرية، مهند يرى في ديمقراطيته الاشتراكية، الحركة اللاسلطوية تدافع عن تحكم العامل المباشر، عائلته تهاب من كلمة مدنية تنتشر داخل منزلهم.

تغير والد مهند كثيرًا معه، يكاد اللعاب يسيل من فم مهند من الفرحة؛ لكي يتمرد على والده، وقتها سيكون تمرده له أسباب.

-أليس لي حق الخروج وقتما أشاء؟

-لا، لأن لي الحق بأن أعرف، أين أنت ذاهب؟

-لا، ليس هذا من حقك، إن من حقك فقط أن تسأل، ومن حقي ألا أجيب.

هكذا كلم مهند والده، أولى خطوات التمرد على سلطته الأبوية التي يمارسها على عائلته.

-احذر كلامك معي في نطاق محدود، أنا والدك فلا تجادلني، كل ما أقوله لكم، سمعًا وطاعة، مفهوم.

-عندي اقتراح لك يا صاحب الأملاك، ما رأيك في انتخابات نزيهة؟

- بأي حقٍ تتكلم معي هكذا؟

-لأنني ابنك، وهذا مجرد اقتراح لك.

-حسنًا، موافق.

-عليك أنت يا مهند أن تحضر للانتخابات.

-حسنًا.

والده ما زال يرى ابنه مراهقًا، تركه يفعل ما يشاء، أتى يوم الانتخابات والشعارات ملأت الحوائط، والده لم يأخذ الانتخابات على محمل الجد، وقال

لنفسه مجرد لعبة من أبنائي، سألعبها على أي حالٍ. مَّر يوم الانتخابات، وظهرت النتيجة بفوزالأب ليظهر حبهم له، لكن مهند كان يلقن والدهم درسًا، بأن الدكتاتورية لا تُفيد، وبسببها تكاد تخسر كل شيء حتى أولادك، شعر الأب بفرحةٍ عارمةٍ، وأدرك حقًا أنه كان مقصرًا في حق عائلته، وأقدموا على العشاء سويًا.

*****

تتقَيأ استغلالًا

نتجاذب أطراف الحديث سويًا وإذ بعليّ ينفجر بالبُكاء، كُف عن البكاء يا عليّ انظر إلى القمر مكتملًا الليلة وأنت تنفجر بالبكاء، رجاءً تأمل اكتمال القمر، تأمل النجوم التي تتلألأ سعادةً باكتماله، ليس النجوم بل السماء بأكملها تتلألأ سعادةً، ينبع القمر جمالًا ساحرًا تجعل النجوم تتلألأ سعادةً بل السماء بأكملها، الجو رائعٌ اليوم، نسيم الهواء على ذلك الشاطئ مع اكتمال القمر فرصة، فرصة باهظة الثمن، عقلك يحتاج تلك الفرصة، أرجو أن تنقضي عليها ولا تمهِلها، سوف أذهب لكي أنتهي مِن بعض الأشياء، لا أعلم إذا كان في استطاعتي المجيء مرةً أخرى، الجلوس وحيدًا مفيد في ذلِك المكان الهادئ، حيثُ التأمل، واستمتِع بنسيم الهواء، ومشاهدة اكتمال القمر، وسعادة تلألؤ النجوم، وعند طلوع الشروق اذهب إلى البيت لتخلد للنوم، عند الغَسَقِ سوف أكون في انتظارك على نفس الشاطئ؛ لمشاهدة الغَسَق ونتجاذب أطراف الحديث سويًا.

-حسنًا عصام، سوف أكون هُناك في المَوعِد، إلى اللقاء.

في اليوم التالي اقتربت الشمس من الغَسَق، يتسكع نحو الشاطئ، مُحدثًا نفسه، أتمنى أن يكون القمر مُكتملًا الليلة، ها أنا قد وصلت إلى الشاطئ في انتظار عليّ.

-أهلًا عصام، كيف حالك؟

-بخير يا رفيق، كيف حالك أنت؟

-لا بأس، بخير.

- كيف كانت ليلة البارحة؟

-جيدة إلى حدٍ ما، ماذا عن تلك الفضلات التي تُغمِر رِمال الشاطئ؟

-اهتمامهم بالنظافة يا عليُّ يكمن في منازلهم، إنما الشواطئ، الشوارع، المدارس، مهملة، مهملة جدًا، الإهمال قد يكون كارثة في يومٍ ما، نتائجه السلبية عواقبها وخيمة، وخيمة جدًا، دعك من ذلك، لماذا انفجرت بالبكاء ليلة البارحة؟

- ثُريا اسمها ثُريا، كنت أحدثها عن التعليم تجهيل، تُحدثني عن اعوجاج خصرها، انظر يا عصام، انظر إلى هندسة السماء إنه الأفق، تعال نجلس على تلك الصخور، نتأمل الأفق قليلًا.

-أنت تتَلاعب يا عليّ، دعني أغير السؤال، بماذا كنت تحلم؟

-الموسيقى، كنت أحلم بالموسيقى تعطي دروسًا في التناغم، الموسيقى تأخذك إلى الأفق بعيدًا عن الواقع وتفقد اتصالك بالمشكلة، المشكلة تكمن في الواقع، أتعلم يا عصام؟ الموسيقى تجعلني خارج نطاق الخدمة عن الواقع.

-أتدري يا عصام، ثُريا لم تكن لها قيس يحضنها أو يكن مجنونها؛ لذلك كانت تحدثني عن اعوجاج خصرها.

-تتلاعب مرةً ثانية، حسنًا.

-دعنا نشعل سيجارة يا عصام، هيا نتحدث عن البكاء في ليلة البارحة.

-الجهل يجعل منك شخصًا مغرورًا وأكثر كبرًا وتعاليًا، معرضًا للاستغلال، الغرور ليس مفيدًا إطلاقًا إذا كان مصاحبًا بالجهل، الغرور اجعله لنفسك ولا تمارسه على الآخرين، أرى في الوحدة التميز والإبداع، أرى

في قارئة الفنجان، الذكاء، الدهاء، الدلال، الجمال، أرى في قارئة الفنجان، القوة، الخضوع للمال، ذكاؤها يكمن هنا في استغلال المغيبين الذين يتملك منهم الجهل، عواقب وخيمة تكمن في عدم المعرفة، تجعل منك فريسةً خاضعة الأوهام، مثل قارئة الفنجان تستخدم الأوهام فكرًا، محترِفةً في جلب الزوار لها مِن خلال اعوجاج خصرها.

-إذن يا عليّ، ثُريا هي قارئة الفنجان.

-بالطبع يا عصام، أنت كنت تعتقد إني أتلاعب معك.

-الويل لي، بالفعل يا عليّ، التعليم تَجهيل، ما دام التعليم لغرض التعليم سوف يظل تَجهيلًا، إن لم يكن مصاحبًا بفهمٍ، وماذا عن ثُريا الآن؟

-لا زالت تتقَيأ استغلالًا، ذكاؤها يكمن في الفنجان.

*****

بِذرةُ نِفاق

-لقد سئمت، سئمت، سئمت.

-اهدأ، عَيناك تكاد أن تمطر، اهدأ، أنصت إليك جيدًا، لا أُريد أن أكون متطفلًا، أُريد أن أطمئن، ماذا بِك يا صابر؟

-الخُذلان؛ الخُذلان، الخُذلان يا حازم، لماذا الطيبة ضعفًا، سذاجة؟

-صديق منذُ طفولتي، لا أعلم إذا كان يحبني حقًا أو كان يتظاهر، كل الكائنات منافقة، كل شيء جميل قبل أن يعرف الأصدقاء معنى الجشع.

-احذر، احذر، احذر عندما لا تشعر بألم.

-الحفاظ، يدعون الحفاظ، يدعون إنهم محافظون، محافظون تعني النفاق، النفاق يتمدد، تجد أن الحب إذلالٌ بفِعل النِفاق، المُشاركة أيضًا أحيانًا لا تكون مُفيدة إذا لم تكن ناضجةً، المشاركة في السعادة إذا لم تكن ناضجةً، تشعر بالنفاق الذي يتَدفق، في ظِل تِلك الأزَمات التي يَمُر بِها الفَرد، يتَمسك بتِلك الابتسامة، هي ملجأً لتَفادي الأزمة.

-لعله خير يا صابر، لعله خير شر يحمينا من الأشَر.

-تلك الجملة، تحتوي على الكثير من الأسئلة، لماذا لم يصمد الخير أمام الشر؟

-انصت إليّ يا صابر، كل مؤمنٍ مخلصٍ يستمتع بإيمانه، أبدية الاستمتاع تكمن في الإيمان، كذَلِك الخير والشر؛ الخير نابعٌ من الداخل؛ من الأعماق، التربية تؤثِر على ذَلِك، صراع داخلي لعمل الخير، الصراع هنا دليل على أبدية

الاستِمتاع. الشر نابعٌ مِن الداخل؛ مِن الأعماق، التربية تؤثِر على ذَلِك، صراع داخلي لعمل الشر، الصراع هُنا دليل على أبدية الاستمتاع.

-حازم، قلت لعله خير شر يحمينا من الأشر.

- ما علاقة الخير بالنفاق؟

-الإدِعاء هو الذي يجبر الإنسان لكي يحبه الإنسان، الإدعاء هو بند أساسي للنِفاق، الإدِعاء هو الوسيلة الوحيدة للتمَكن من الشَيء، الشمس والقمر لا يتقابلان، لا ينافقان، كلاهما يعلم جيدًا وظيفته، يجب على الإنسان أن يعلم وظيفته مع الإنسان.

-حسنًا، حازم، ما علاقة الشر بالنفاق؟

-وجهان لعملةٍ واحدة، لا يحتاج إلى إدعاء، النفاق في حد ذاته شر.

-أتعلم يا صابر، الحقيقة، الحقيقة لا أحد يحب سماعها، الحقيقة سراب، سراب من العطش يهابون احتسائها، الحقيقة نقيض النفاق، النفاق تغلّب على الحقيقة، لعدم تقبل لها، مجرد العيش على وجع وصدمة انهيار الأوهام أرحم لنا من النِفاق، ماذا بشأن صديق الطفولة؟

-سوف تأخذ نبذة من المنوم عندما تتثاءب فقط، لا أعلم إذا كان يحبني حقًا أو كان يتظاهر، كل الكائنات نافِقة، كل شيءٍ جميلٌ قبل أن يعرف الأصدقاء معنى الجشع، لقد علمت إنه لم يحبني حين استخدم التنمر معي، التنمر يا حازم؛ التنمر أبشع جريمة، التنمر يؤثِر على نفسية الشخص، يجعله أكثر إنطواءً، التنمرهو شكل من أشكال الإساءة، الإيذاء، عنف جسدي ونفسي، التنمر من أساليب الإكراه هو التلاعب، يحدث في المدارس، أماكن العمل، الشوارع، إحدى أشكال التنمر في الشوارع هو التحرش الفعلي،

الاعتداء البدني على طفلٍ، امرأة، شاب يرى من الطيبة ضعفًا، سذاجة، استغلال وتر الخوف، هو أيضًا أحد أشكال الإيذاء المتكرر على مدار الوقت، يتعمد صديقي في إزعاجي لكي يرضي تنمره، التنمر يا حازم، التنمر قتلٌ عمد، التنمر أكثر الأشياء جُرمًا، طيور إيماني ألحدت لأنها لم تنعم بالهواء، أصبحت وردة ماتت على مقبرة التنمر.

- ماذا تنتظر يا صابر؟

-أنتظر، أنتظر ملاك الموت؛ لكي أقابله وأنا مبتسم.

*****

المُريد

كل وعود السماء مرسومة في عيون المُريد. أين الميثاق؟

ميثاق وعود السماء، كان يريد أن يشق طريقه والفشل يغرق وراءه، لم أقصد إزالة ابتسامتك، من الصعب أن يطلق عليها عروسًا إلا بتجميلها، بدائيون، بدائيون، بدائيون جدًا، فمن قبل بعد أن أخذ المُريد مراده أطلق على علاقاتهم لقب الزنا، أنت تريد، هي تريد، كل وعود السماء مرسومة في عيون المُريد، النقاش مع رجل شرقي، حين تناقشين فكرة ما، فكرة الحب، ليست فكرة، الفكرة تكمن فيما بعد الحب، تبدأ بحبٍ، بلهفة، بشغفٍ، بِثقةٍ، مجرد بداية، بداية فقط، بداية حب امتلاك، للوصول لما يريده المُريد.

هي كل شيء تدفعه للوصول؛ خِصرها، تطاير شعرها، نهداها البارِزان، يكاد أن يسيل اللعاب مِن فم المُريد؛ لإخماد حريق شهوته، حين تحكم الشهوة سيظل الامتلاك يتمدد ليصل إلى حد القتل، لمجرد إخماد حريق شهوته، حب في عنق زجاجة.

ياسمينا رآها المُريد في مقهى ما من مقاهي المدينة، متحررة في ملابسها، متأملًا فستانها مفتوح الصدر، وبالصدفة البحتة وجد صديقه أمجد يجلس بجانبها، دفعه الفضول لاحتساء فنجان قهوته على نفس المنضدة، فرصة

أصافح صديقي أمجد، إنني لم أره منذ فترة سأجلس بجانبه وأنال مرادي أيضًا، العين بتكره كل الأفضل منها، رأى المُريد صديقه أمجد أفضل منه، نظرته لصديقه نظرة فلسطيني لإسرائيلي ناهِب محصول دينه.

-أهلًا أمجد، لم نرَ بعض منذ فترة.

-كيف حالك؟

-أنا بخير صديقي، طمئني عنك؟

-بخير.

-أهلًا سيدتي، كيف حالك؟

-بخير، شكرًا.

-اجلس يا صديقي، اجلس.

-شكرًا، أتيت لكي أصافحك، اشتقت لك يا أمجد.

-اجلس فحسب، لا تقلق فلن تثير إزعاجنا.

-شكرًا أمجد.

-لي الشرف بأن أتعرف على صديقتك.

-ياسمينا، اسمها ياسمينا.

-أنا حسين صديق أمجد منذ زمنٍ طويل، أعتبره صديق طفولتي.

وبدأت ضحكاتهم تتعالى في المقهى، بفضل النكات التي يلقونها، وضحكات ياسمينا لا تفارق أُذن حسين و يزداد ضحكًا، ويصافح يد ياسمينا

لأول مرة، نظرات ياسمينا له جعلت من المُريد شخصًا انتهازيًا أكثر، ويزداد رغبته بها أكثر وأكثر، ظلوا صامتين لوهلة، يريحوا قلوبهم من الضحك الهستيري.

-ما رأيك في الحب يا حسين؟

-الحب لا يعرف الظلام، الحب يجب أن يكون في النور، متجهًا إلى الحرية، إلى الاعتراف بكيانه، ولكن يا أمجد، أُريد أن أوضح شيئًا هامًا، الحب عندما يحاول أن يخرج إلى النور سيصطدم بالمجتمع، مجتمع دكتاتوري لا يرحم، يفرض قيودًا دون أن يسمح بمناقشتها.

- لماذا يا مُريد؟

-لا أعلم حقًا سوى إنه يفرض قيودًا، ومَن أنشأ تلك القيود شخصًا منافقًا، أطلق عليها عادات وتقاليد؛ لإنشاء مجتمعٍ محافظ، مَن يدعون بأنهم محافظون هُم الأكثر هوسًا بها، سيظل الحب إذلالًا. الزواج جعل الحب إذلالًا، لا يهم إذا كان الزواج يسعدك أم يشقيك، الأهم فرحة الآخرين داخل قاعة أفراح، ولا يهم إذا كنت سعيدًا أم لا؟

صدقني يا أمجد، لا يهم سعادتك أم تعاستك، الأهم عائلتك، أصدقائك، أحبابك، وليكن أعداءك أيضًا، سيكونون سعداء بزواجك لمجرد الرقص، الرقص على الموسيقى، ولا يدرون أن الزواج مقبرة الحب.

هنا شهوة المُريد تحكم، لا المشاعر العاطفية المقدسة، أتلفها الزواج.

-أتدري يا حسين، أنا أُحب ياسمينا، أحبها لدرجة الجنون، أُحب تمردها، تحررها، لكن هي فريسة في عين المُريد، يريد أن يفترسها، يأكلها بعينه المليئة بالشهوة، ويريد أكثر، ثم بعدها يرجمها بتهمة الزنا.

-هي لا تؤذي بحبها أحدٌ، فلماذا يتأذى الناس؟

-ما شأن الناس بها وبحياتها؟

-دعونا، دعونا وشأننا، دعونا أيها الناس، لا تفسدوا علينا الحب، ما دمنا لا نرتكب إثمًا، أزِل عينك من علينا أيها المُريد.

رأت حكم المُريد الظالم، حكم بلافهم، بلامنطق، بلاحيثيات.

-ماذا بعد يا أمجد؟

تزوجتها يا حسين، مجرد ورقة، ورقة زواج من المأذون، هدأت من روع المُريد، الحلال والحرام ليس إلا مجرد سطور تُكتب على ورق.

*****

المُثقف والشُّرطيّ

في إحدى المرات، بعد سنواتٍ من الصراع العقلي ما بين الشك واليقين، ظل يبحث في جميع المجالات، التي سوف تجعله أكثر نضجًا من السابق، يريد أن يصبح وردة في أرضٍ بور، يريد أن يفرق ما بين عواء الكلاب وعواء الذئاب، يريد أن ينزع نزاوته، أن يحطم شهواته، أن ينهي تقاليد الزواج ويغير مفاهيمه، أن يتخذ الحيوانات تعلم البشر رحمة قلوبها، تعلمهم أن ينزعوا الكراهية ويستبدلوها بقلوب الحيوانات، حتى الشرس منها رَحيم، والشرس مِنا متمسكٌ بكراهيته، حقده، غليله، نظرته الحاسمة التي تكاد أن تنبع نيرانًا كتنين مجنح يخرج اللهب من فمه، يريد أن يصبح عطرًا داخل مستنقع، يريد أن يتناثر عطره في الهواء لكي يغطي على رائحة المستنقع الكريهة، غابة موبوءة، يرى نبوءته، في تحقيق أحلامه وأحلام مما يفكر مثله، يغمره الكثير من الأماني، الكثير من الأمل، المعضلةُ هنا إنه يهاب الغابة الموبوءة، يهاب سكانها، يهاب أن يصبح جسده مقطعًا إلى أشلاء، الجهل وسيلة الفقراء والأغنياء.

الفقير يرى في جهله راحته النفسية، الغني كل همه جمع المال، يجمع حصاد الشهر، حصاد السنة، كأنه في حربٍ يفوز بها ويسلب ويحصد السبايا، الغنائم هذا كل همه، يسعى لتحقيق ملذاته فقط، ولا يدري عن مأساة

الفقير شيئًا، إذا كثر المال أنتج التكبر، فالمال يستر رذيلة الأغنياء، أما الفقر هو أسوأ أشكال العنف.

أسامة ذلك الشاب الذي نشأ في محيط عشوائي، يعاني وهو ما زال في ربع قرنه، حلمه أن يتمرد على ما يحدث في محيطه العشوائي، يكاد أن ينغمس في وكرٍ من تِجارة المخدرات، ليس وكرًا بالمعنى الحرفي ولكن هم مجموعة من الشباب على مقربةً من سِنه يقفون تحت عمارته، موقعها على حافة إحدى الشوارع، ظاهرها من الخارج بدائي لا يوجد عليها طلاء، موقعها يصلح لتِجارة السموم، يهابهم، يهاب تصرفاتهم، يتجنبهم، لا يحتك بِهم، يتجنبهم على قدر من استطاعته.

أسامة المثقف، المحترم، أخذوا ينهالون عليه بالمضايقات، ويرددون أسامة المثقف، المحترم، يعتبرونها نوعًا من المضايقات، ولكن لم يكترث لهم، بل يزداد إصرارًا على أن يثور، يزداد إصرارًا على أن يجفف المستنقع وينشر عطره، عاجلًا أم آجلًا، سوف تنبت الوردة في أرضٍ بور، مقتنع أن يومًا ما ستُحلق الطيور بعد كل مضايقة له، كان لا يكترث لهم، فأصبح يهتم لأمرهم، أصبح يراقبهم، يتتبع خطواتهم في يومٍ ما، هؤلاء المذنبون في إيذاء كل إنسانٍ ببيعهم له تِلك السموم، أسامة لم يعجبه الوضع، لم يعجبه ما فعلوه في حق الفتيات والفتيان، الذين ليس لديهم المال، تبًا. إنهم يمارسون الجنس مع الفتيات وحتى مع الفتيان أيضًا، مقابل ورقة هيروين، اعترض أسامة على ما يفعلونه هؤلاء المذنبون في حق هؤلاء الأبرياء، انهالوا عليه بالضرب الذي يكاد

أن يكسر ضلوعه بسبب اعتراضه عليهم، وحين لمحوه يناهلون عليه بالضرب، أصبح في أيديهم لعبة للتسلية وهو يبتَسم، وفي الابتسامة الأخيرة، قال: احذروا المثقف إذا انحرف، قالها في لحظة مرور دورية الشرطة حين لاحظوا خمسة أفراد ينهالون بالضرب على شخصٍ واحد هو أسامة، وتم القبض على هؤلاء بتهمة المشاجرة وبيع السموم، لأنه تم إصدار بلاغ من أحد سكان التي يسكن بها أسامة بأن هناك أشخاص بحوزَتهم الهيروين، ويتم بيعه تحت عمارتِنا.

ذَهبت الشرطة بنفسها إلى مستشفى مجاورة من محيط أسامة العشوائي، لكي تعالجه على نفقتها، كان هناك شرطي يهتم لأمر أسامة، من كل آنٍ وآخر يذهب للمستشفى لكي يطمئِن عليه، سمَع هلوسات أسامة من تأثير الضرب، سمعه وهو يقول: احذروا المثقف إذا انحرف، ومرت الأيام، يردد تلك الهلوسة: احذروا المثقف إذا انحرف، احذروا المثقف إذا انحرف، احذروا المثقف إذا انحرف، هلوسته التي كان يرددها هي من إنتاج الواقع.

شُفي أسامة وخرج من الغرفة من المستشفى كلها، كان الشرطي في انتظاره أمام باب المستشفى، كان يشعر أسامة أثناء علاجه بأن أحدًا ما يقوم بزيارته، لا يعرف هيئته، لا يعرف حتى اسمه، يعرف فقط بأن هناك شخصًا ما يطمئِن عليه. الشرطي حين رأى أسامة بزيه الميري، اتجه نحوه وصافحه ثم قَبّله من خده الأيمن، وخده الأيسر.

-أهلًا أسامة، كيف عرفت اسمي أيها الشرطي؟

-سألتك حين كنت تهلوس وأنت داخل الغرفة.

-أُهلوس! ماذا كنت أقول أثناء هلوَستي؟

-كنت تقول، احذروا المثقف إذا انحرف.

-تعال أسامة، تعال إلى أين؟ نجلس على مقهى؛ لكي يزداد تعارفنا أكثر، ونحتسي فنجان القهوة سويًا، هل تحب القهوة؟

-أشتاق إليها، كنت أفتقد احتسائها داخل المستشفى.

-المقهى قريب هنا بجانب المستشفى، تعال ادخل، أهلًا، أهلًا، سيادة الضابط، نورت مقهى سمعان، أهلًا سمعان، كيف حالك؟

-بخير سيادة الضابط سمير، لا تفعل ضجة مرة أخرى، أنت تربك الجالسين بكلمة ضابط، أُنظر التوتر يملأ وجوههم، لا تفعل ذَلك مرةً أخرى.

-أرأيت يا أسامة، الجالسون رأيت التوتر، القلق، الخوف، إنهم يهابون البذلة البيضاء، ذات النجوم المعلقة على الأكتاف، يهابون كلمة ضابط، يهابون أيضًا حذاءه حين يصدر صوتًا على الأرض، دعك من ذلك الحديث الممل.

-قهوتك مظبوطة، سُكر مظبوط، سمعان، سمعان اثنان قهوة مظبوطة من البُن الخاص.

-سنك يا أسامة؟

-ربع قرن.

-أخبرني بشأن هلوسَتك؟

- سوف أُحدثك وأعتبرك صديقي من الآن يا سمير، عندما انهال عليّ الضرب المُبرح الذي كان يكاد أن يكسر ضلوعي، أُرَدد تِلك الكلمة التي سمِعتها مني أثناء هلوسَتي، كُنت أنوي أن أخوض تِلك التجربة وأن أعمل معهم، كنت سأضع الخطط وهم ينفذون، لكن لم يَعطوني الفُرصة؛ عِندما أذهب أمر من أمامهم يضايقونني، في كُل لحظة، كُل دقيقة، في أي وَقتٍ يَروني يضايقونني.

-لماذا فكَرت في ذلك؟

-لأني فقير، الفقر أسوأ أشكال العنف.

-واضح إنك فيلسوف، ماذا كنت تَنوي أن تفعل؟

-تذكر يا سمير، اعتبرتك صديقي؛ لذلك لا تستخدم سلطتك ضدي.

-بالعكس سأستخدمها معك، أكمل لا تقلق.

- حسنًا.

-اصغ إليّ يا سمير، لن أبيع الهيروين للفقراء؛ لأنى أشعر بمعاناتهم، معاناة مَن يمارس الجنس خاضعًا لورقة هيروين لا يملك ثمنها، ورقة واحدة يخضع لها، أشعر بهم لدرجة أني أُريد جميع الأغنياء الغير شرفاء إدمان الهيروين؛ لتفنى جميع حساباتهم، ليشعروا بجميع الفقراء الذين يعانون في جَلب ورقة هيروين واحدة خاضعًا لها، أتدري يا سمير؟ كنت أتمنى أن أنشر فلسفتي لإفادة الفقير قبل الغَني، الصغير قبل الكبير، العجوز قبل الشاب.

-لماذا لم تَقُل الشاب قبل العجوز يا أسامة؟

-ها ها ها، لا أدري، دَعني أُكمل.

-يا رجل الكمال لله وحده.

-ها ها ها، حسنًا.

-سوف أبيع الهيروين للأغنياء بضعف الثمن، سأقنعهم بأن يتركوا زجاجة الخمر ويدمِنون الهيروين، ورقة واحدة كَفيلة باللعب في إشارات العقل، سَيطلبون المزيد، سَيعجبهم الإدمان، سَأبيع لهم بالكيلو فيما بعد، سنَصبح أغنياء يا سمير، لكن هناك معضلة.

-ما هي يا أسامة؟

-بما إننا شركاء نظريًا أظن علاقاتك كثيرة بحكم سلطتك، أُريدك أن تتوسط لي بدخول عالم الأغنياء واترك الباقي على العبد لله، ها ها ها، وأصبح المثقف تاجر هيروين كبير، وأصبح غنيًا بمساعدة الشرطي سمير، عفوًا، سمير.

-أصبحت قهوة سمعان ملجأً للخطط.

-سمعان، سمعان، اثنان قهوة مظبوط.

*****

البوكَر

في إحدى الليالي التي ليس لها ملامِح سوى لون السحب الحمراء، يغمرها شِدة احمرارها، أظن اللون الأحمر دليلًا على امتلاء السحب بالماء، أظن بأن السحب سوف تتحَول إلى اللَون الأسود لكي تمطر السماء عما قَريب، أظُن في الصَباح، لَكِن لا بأس، لن يفسد اللون الأحمر لياليا، سحب السماء تَثور وتَنتفض، في ليالي الشِتاء، أظُن بأنَ تلك الغازات التي تنتج السحب جديرة بالتعبير عن غضبها، لكن ذَلك الغَضب أظُنه غَضبًا أكثر خيرًا، يَكفي بأن ذَلك الغَضب يَروي الأراضي الزراعية التي تَكاد أن تَموت من إهمال البشر، أعتقد بأن السماء أكثر صدقًا، ليست كما مصطفى، ها ها ها.

دعكم يا شباب من السماء ولونها الأحمر الذي سَيتغير في الصباح إلى اللون الأسود، حتى لو أن الكوكب أصبح ظَلامًا وبدأ يصمت ، فَلن يضيع ذلك اليوم بدون أن نلعب البوكر، هيا نذهب للعب البوكر.

-يا تُرى مَن يَفوز الليلة؟!

-مصطفى أظُنه يفوز؛ لأنه ليس كما السماء أكثر صدقًا، إنه مريض الميثومانيا، كم أشفق على مريض الميثومانيا،-هوس الكذب- أحيانًا جميعنا نكذب، عادةً نتَخذ مِن الكِذب طوْق نجاةٍ أو لِلعبور من خطأ غير مقصود اقتَرفناه لنبين حُسن ما بداخلنا تفاديًا للأزمات، لَكن ليس كحالة مصطفى،

مصطفى والميثومانيا وجهان لعملة واحدة، نَصب من الكِذب رغبات، رغبات شخصية، كسب المال أو كسب علاقات اجتماعية، نعم، يصبح الكِذب مرضًا، الميثومانيا المعروف بهوس الكذب، عِلّة نفسية مزمنة تَقوم بتَحفيز صاحبها على اختلاق القصص والأحداث التي تدور حوله أو التي لا تدور حوله، ويبالغ فيها لدرجة أن تلك القصص قد تعبر حدود الكون، كبراقٍ مجنح على ظهره رجل طار بِه إلى الفضاء عابرًا الكواكب والمجَرات ونجحَ في عبور الثقب الأسود الذي يَبتلع كل ما حوله، براق مجنح نجح في الإفلات منه أعتقد بأن الضوء لم يسلم من الإفلات منه؛ لأنه يَبتلع كل ما حوله مِن مادة حتى تصِل إلى حالة الثقب الأسود.

-دعك يا جابر من مصطفى، والبراق المجنح، والثقب الأسود، لنذهب إلى الملهى الليلي لنلعب البوكر، ونحتسي الخَمر في هذه الليلة القارصة بالبرد، فالكحول يدفئ الجَسد، فالكحول مادة تَرفع من درجة حرارة الجَسد.

-كفى يا جابر، كفى، ماذا بك يا علاء؟

-أُريد أن ألعب البوكر، كم أنت ممل.

-حسنًا، لنذهب.

-حتى نصِل إلى الملهى الليلي، انصت إلى تلك القصة التي لا أعلم إنها حقيقة أم لا، لَكنها مأساة.

-كم أنت مملٌ يا جابر، كم أنت مملٌ، اترك القصة، اترك ثقافتك يا جابر، لن تفيد بها أحدًا، ثقافتك سَتنتهي حتى يوم موتك، لن تفيد بِها أحدًا، كما تعلم بأن المجتمع ينحصر تفكيره في ما بين النهدين، في ما بين الفخذين أيضًا، القصة يا علاء التي سوف تنصت إليها أنت ومصطفى، يشبه ما قولته، لكنها مأساوية بعض الشيء.

-أنصِت إليك يا جابر، أنت تَعلم إنني أُحب تلك القصص، أظُن بأن مصطفى يُحبها أيضًا.

-حسنًا، لكن انصت فحسب.

-أسمَيتها الحب خَطيئة.

لقد ماتت والدته، تركت شابًا لَن أقول فاشلًا، بَل الحظ لَم يحالفه يومًا ما، لم يسلم طيلة حياته من التنمر، حتى مِن أقرب الأشخاص له وهو والده، كان يعامله بِقسوه لا بحُب، بغض النظَر عن الأشياء التي كان يطلبها و يجدها في اليوم الذي يليله، يَبحث عن الحُب، الحُب المُجرد مِن الشوائِب، الحُب الدائم، الصامد، الحُب التلقائي، الحُب الذي يُعبِر عن نفسه، الحُب الذي لا يعبر عنه الكلمات التي يَتقنها في إحدى كِتاباته، الشخصية الوحيدة التي تشجعه على عمق الكلمة، أُخت والده، علياء. اسمَها: علياء، كان يراها حُبه الوحيد، وجد بها حنان، مِثل حنان والدته، يجِد راحته في بيتها، وليسَ في بيت والده، حينَ تطلُب منه شيئًا يذهَب

ويجلبه دون تردد، حينَ كان يجلس معها أثناء وجود زَوجها، لا يعامله بلطف، يكرهه مثل والده، يرى سمير المعاملة السيئة كره، لأنه فاقدٌ الحُب، لم يجد سوى الكره، لَم يجد حُبًا مِثل حُب علياء، أصبح يمجد اسمها، ينام يحلم بِحضنها، البذرة التي قذفها والده أصبحت نَبته باحثة عن إيجاد الحُب، سمير يذهب إلى علياء في الأوقات التي يكون فيها زَوجها منشغلًا عن العمل، دخل زوجها في لحظِة وجوده وجَدها تشجعه على القراءة، الكتابة، تشجعه على أن يصبح مبدعًا، ارتفع صوت زوجها، اخرج ولا تعد إلى هنا مرةً ثانية.

سألت علياء نَفسها: هل يشعر زوجي بالغيرة تجاه سمير؟ لأن عمري قريب من عمره!

لا أعلم، لحظة خروج سمير، سمع زوجها، علياء، علياء، أحذِرك من دخول سمير إلى بَيتي مرةً أُخرى، وإلا سوف أُطلقِك.

مَعقول، مَعقول، سَيُطلقني إذا وجد سمير مرةً أُخرى.

سمير يحتاجني، يحتاجني الآن أكثر من أي وقتٍ، أعلم شعوره الآن، أشعر بخذلانه مِن زَوجي، والده أيضًا، لا أحد يحب سمير، أنا أحببته أكثر من نفسي ومن زَوجي، أشتاق له مِن الآن، أشعر إنني أفقده.

ترن، ترن، ترن. إنه سمير لن أُجيب، لا أُريد خسارة زَوجي، لا أُريد خسارة سمير أيضًا. ترن، ترن، ترن. مرحبًا سمير.

تجيب عليه وهي تشعر بالخيانة تجاه زوجها؛ لأنه أعطاها أمرًا وهي تخالف ذَلك.

- سمير، سمير، أعلم أنك تَبكي، أعلم أنك تريدني، زَوجي سوف يتأخر في العمل اليوم، ستأتي إليَّ في أوقات عمل زوجي.

-حسنًا، مو افق، يكفي بأن أراكِ.

ترن، ترن، ترن. أنا أسفل المنزِل.

-حسنًا يا سمير، تعالَ.

-علياء أشتاق إليكِ.

وقام باحتِضانها، وأصبح سمير يتَردد على علياء أثناء وقت عمل زَوجها.

-أتعلم يا سمير، زوجي مُخطئ؛ لأنه جعلَ مِن حبي لك خطيئة.

-نحن أمام الملهى اللَيلي، لندخل لنرى من سيفوز باللعب، في صوتٍ واحد لا نريد أن ندخل يا جابر، كم أنت مملٌ.

*****

ازدراء القُبح

الأرض جمادٌ صامتٌ، لكِنها متمردة، رفضت ابتلاع الدماء المتجمدة على سطحها، رفضت كل مَن يشوه صورتِها، الدماء عنصرٌ مرفوضٌ للأرض، عنصرٌ مرفوضٌ منطوٍ لا يأتلف، الأرض جمادٌ صامتٌ، لكنها تشعر، تشعر بمن يغرز بذرةً لتنبت، تشعر بمن يرويها، مَن يَعطيها حبه ويَحميها، السماء والأرض وجهان، السماء تُعطي، الأرض تُنتج، البَشر تحصِد، الأرض ليسَت قَبيحة، الأرض في قِمة جَمالِها، الأرض ليسَت جمادًا صامتاً، أبدَعت في فَن التَجميل، أبدَعت في استخراج كل ما هو جميل؛ ورود، أشجار، اخضِرار الشجر دليل على نضارتِها، دليل أيضًا على إبداع الأرض، علينا أن نَكون مُمتَنين للأرض، لا أن نزدريها بقبحنا، وَميضٌ هناك في الظلام وِسط أرض زراعية تنتج محصولها لمن يعطي لها، لمن يَعتني بها، لمن يحافظ عليها، ليس لِمَن يَزدريها.

-أتدري يا أمجد،؟ البَشر يخربون، بالرَغم من ذلك ناضجون، يفكِرون، يسعون لإرضاء ملذاتهم بالقبح، إرضاء نفوسهم بالقبح، يكفي يا أمجد بأن الأرض ملجأً لاحتواء القوارِض، القوارِض شعَرت بالأمان، يَكفي بأن الأرض سَمحت لِلقوارض بالمكوث داخِلها، خوفًا عَليهم مِن البشر، الكون بأكمله يسعى لتَحقيق المثالية، الأمان، السلام، أشعر بالراحة في تأمل إبداع الكَون.

- لماذا هم لا يشعرون؟

-انصِت إليّ يا سمير، إنَ هَؤلاء أشباه بشَرٍ، إنهم ليسوا ناضِجين، لا يفكرون، بَل مدركون بأن القبح يثير هرمون السعادة، لغرض السَعادة.

-أتدري يا سمير، إنهم لم يَعيشوا طُفولَتهم لذلِك لَم يثار هرمون السعادة داخلهم مُنذُ الصغر، أحيانًا الطُفولة تَكون مَليئة بِبعضٍ مِن القُبح، حين تكون الطُفولة قَبيحةً بعض الشيء، حين ينضَج الطفل تدريجيًا يتَخلص مِن القبح، يصبح أكثر تأملاً للطبيعة، لا يخربها، مثلك تمامًا إنكَ تخلصت من قبحك أثناء طفولتك؛ لذلك أنت تعشق الطبيعة، تعشق تصميمَها، أحيانًا مَن يملُك القبح وهو ناضِج بداخله جمال، لكِن يهاب أن يخرجه، الجَمال هُنا يُعِد سَطحيةً، ازدراء، الجَمال في حَد ذاته هنا يُعِدُ قُبحًا، إحدى أشكال القبح استخراج الجَمال لِمَن لا يستَحِي.

- لماذا لا يخرج جمالهم ازدراءً لِقُبحهم؟

-الأرض صامتة لكِنها تشعر، الصمت إحدى أشكال القبح ضدك، الجميع يسعى لجَذب الانتباه، جذب الانتباه إحدى أشكال القبح.

-حسنًا، أمجد، عارٌ عَلينا نستخرج القبح، نزين القبح، نبرر القبح، نقدِس القبح، نهمِل الجمال، نسحق الجمال، نزدري الجمالَ بإخفائه، أعتقِد يا أمجد أن الجَمال سوف يَخرج إلى النور يغطي ظلمات القبح، يسحق القبح، يُلحِد بالقبح، يَزدَري القبح، كما يَزدَري شَخصًا ما حشرة بِدَعسه لها ليخفي قبحها لكِن قُبحها يظهر عندما تموت، لقد ازدُرى الجَمال بالدَعس.

-حسنًا، يا لها مِن جَريمةً!

-بَل الأكبر جُرمًا، الصَمت، الصَمت يعد أكثر قُبحًا.

-انصت يا سمير، هناك أملٌ، والأمل يعِد نورًا، نورٌ يشع، نورٌ يَخفي ظلمات القبح، يسحَق القبح، يلحد بالقبح، يَزدَري القبح، نورٌ يُشِع جَمالًا، يُشِع أملًا.

- لماذا كل هذا الشَقاء؟

-الشقاء من إنتاجِنا نحن، نحن من يَجِب أن ننهي على الشَقاء.

-أمجد، ما رأيك في البومة؟

-اتخَذوها رمزًا للتشاؤم، اتخذتها رمزًا للعفوية.

*****

ازدراء الجسد

الساعة الثامنة ليلًا، ينهال على القرية الصمت المريب، والظلام الدامس يسيطر على كل جوانبها، قرية محتجزة داخِل حدودها الأراضي الزراعية التي تعد متسع للحيوانات الجائعة الشرسة، صوت الذئاب ليلًا، يشعر أهل القرية بالرعب المميت خوفًا من التهام الذئاب لهم، إنهم ليسوا متأكدين بأن العواء هذا عواء ذئاب أم كلاب، لا يعرفون الفرق بينهم، الأراضي الزراعية تعد ملجأً لحيوانات ذوات الدم البارد مثل الثعابين كائنات دفاعية لا تحب الهجوم على أحدٍ فهي محترفة في فن الدفاع عن نفسها، دفاعها يعد ذكاء منها، كائنات زاحفة تمتلك قدرًا هائلًا من الذكاء لا يمتلكه بشر.

شاب نشأ نِتاج عامل تعرية أفصح عن وجوده، في تلك القرية التي تغلق أبوابها في الثامنة ليلًا، بعد انتهائه من تجهيز سطح المنزل بفرح أخته طوال النهار، ولأنهم يخافون من العواء أقام الفرح على سطح المنزل، الأحباب هم من يحتفلون، الجيران، والأقارب والأصدقاء. أثناء صوت الغناء الكل تراهم مترابطون بالود، والحب، والرحمة، والسماحة، الكل يحب الرقص.

وها هي الليلة انتهت بدخول العروسين إلى الشقة، أخوها ذلك الشاب الطموح المثقف، يجلس في الليل يفكر كالعادة، يفكر في تطوير تفكيرأهالي القرية التي يسودها الجهل يتخذونه وسيلة لراحتهم النفسية يغلقون عقولهم لا يستخدمونها، الجهل يحقق لهم الطمأنينة الداخلية، أما الوعي عندما يزداد، يزداد بِداخلنا المرض.

يفكر، كيف يبدأ؟ بعرض أفكاره في تلك القرية، يفكر، كيف يبدأ؟ بمحاولة جَرَفَ عقولهم نحو التنوير، قطع تفكير الشاب صَوت صراخ وانتهى في الحال بعد عشرين ثانية من سماعها، اتجه نحو الصوت المنتهي وجد أخته مذبوحة والسكينة في يد زوجها الملطخة بالدماء.

- لماذا قتلت أختي؟ انطق.

- لماذا قتلت قطعة مني؟

-شرفي رجولتي، شرفي رجولتي، أختك طرحتها أرضًا.

أنت تعلم عادات القرية في الأفراح يجب أن نتأكد من نقطة الدماء النابعةُ منها، وإذا لم نجدها نثار على شرف رجولتنا، وإذا وجدناها نمجد رجولتنا ونفتخر لكوننا هتكنا تلك النقطة بأنفسنا ونحن مطمئنون.

-سوف تتحمل عقابك الذي جلبته لنفسك، حين تعلم ما مدى جهلك، أعتقد أن غشاء أختي من النوع المطاطي الذي يصعب على البعض هتكه، وسوف أثبت لك بتقرير طبي أن غِشاء أختي من النوع المطاطي.

الشرطة استدعت سيارة الإسعاف لتأخذ الجثة إلى المستشفى لتفعل اللازم، بالفعل تم إثبات بتقرير طبي أن الغِشاء مطاطي، تم سجن الزوج على جهله بالشيء؛ ولأنه استخدم الجهل، القتل أصبح وسيلة لإثبات الدناءة وليست الرجولة.

في نفس القرية التي تغلق أبوابها في الثامنة ليلًا، هناك ما يسمى بدار الرحمة والأمان لذوي الاحتياجات الخاصة، من واجب هذا الدار بأن يمد كفوف الراحة والرحمة والأمان لذوي الاحتياجات الخاصة، ونفس الشاب يحب أن يتجول في توقيت ما بين الظهر والعصر؛ لكي يقدم ما تيسر من

المال، والطعام، والشراب، والملبس لتلك الدار لمساعدة أشخاص تشبه الملائكة، بَل هُم الملائكة، حينَ دخل وجد نفسه في مستنقع من الاستهتار واللامبالاة من قِبل أشخاصٍ لا يعرفون الرحمة ولا الأمان؛ أشخاص خلقوا داخل قلوب الأطفال الخوف، الأذى النفسي، بقدر كبير أطفال عارية نحيلة لا تأكل، تصرخ، تبكي، وكأنهم يغرقون في وحل من الهجوم الذي ليس له مبرر قط.

أدرك الشاب بأن الوعي عندما يزداد، يزداد مَعه المَرض، أصبح الشاب انطوائيًا تملك مِنه اليأس في تغير محيطه الجاهل.

ما زال أهل القرية لا يعرفون الفرق بين عواء الذئاب وعواء الكلاب؛ بدأ ذلك الشاب يفكر في الانتحار، الانتحار وسيلة لإنهاء المرض الناتِج مِن الوعي، المَرض الناتِج من يأس، إحباط في التَغير، الآن سوف أنهي كُل شيء ألقي بنفسي تَحت عجلات السيارات المسرعة، لكن يفكر أيضًا في مَصير السائق المَظلوم، سوف يدخل السِجن بسببي، لن أكون ظالمًا لمصير سائق مَظلوم في مَوتي، القريةُ لا تحتاج إلى مزيدٍ مِن الظُلم، الظُلم الذي دفعَ زَوج أختي إلى قتلها، عدم الاهتمام بالملجأ هذا في حد ذاته ظُلم، ظُلم لمَن بداخله. ما هو السبب الذي جعلَ مِن الجهل أن يسود؟ تراجعت عن قتل نفسي، بإلقائِها تَحت عجلات السيارات؛ لأن هذا ظُلم للسائق مِن بعدي.

مَن المسئول عَن الظُلم؟ لا أدري، لكن أدري بأن الظلم يعد ظلامًا، يعد ضعفًا، يعد ازدراءً للنفس، الظُلم يؤدي إلى إزدراء الجسد. ماذا عَن العدل؟ اختفى، اختفى بفِعل الظُلم، كَفة الميزان لم تعد تصلح بعد. ماذا عَن الأمل؟ ما زالَ صامتًا، لكِن سوف يظهر بكل قوةٍ.

اجتماع العدالة

فرد أمنٍ في حوش عمارة، بكالوريوس تجارة لا يملك شيئًا آخر سوى شهادته، شهادته فقط.

-يا سيادة القاضي، لا أحتاج محاميًا للدفاع عني سوف أقص قصتي عليكم يا أصحاب العدالة، لك الحرية بأن تحكم عليّ بالسجن ثلاث سنواتٍ أو أكثر، أنا هنا وأعلم أنني مخطئ ولا أطمع في براءتي، أُريد الشعور بالعدل، مجرد شعور لا أمل فيه، أُريد أن أتيقن بأن الدنيا ما زالت بخير.

-تكلم يا متهم، دعك من الهرطقة.

-حسنًا، شاكرًا لك يا سيادة القاضي بأنك تُريد سماع قصتي؛ فهذا دليلٌ على أنك لا تُريد الحكم عليّ بمجرد النظر في الأوراق التي أمامك.

-اسمي: شاكر.

السن: ٢٥ .

المؤهل: بكالوريوس تجارة .

التهمة وليس العمل: فرد أمن في حوش عمارة، كما موضح لك في الأوراق.

-لماذا سميت عملك بالتهمة؟

-لأنه كذَلِك بالفعل، سوف يتضح لك الأمر الآن.

-في حالتي الراهنة عرفت بالبؤس منذُ الصغر؛ رأيت أهلي يعانون في أن أصبح قاضيًا مثلك، كانوا يدعمونني كامل الدعم بالرغم من إنهم يُريدون الدعم وليس أنا، لقد أتيت في موقعٍ جغرافي بالخطأ، مِن خلال عامل تعرية

أفصح عن وجودي، في مرحلتي الابتدائية طيلة الست سنوات أصبحت الأول على المدرسة بأكملها ونلت الكثير من شهادات التقدير، وكذلك أيضًا في الثلاث سنوات الإعدادية، لكن في السنتين الأوليتين من الثانوية العامة نلت تقديرًا وأصبحت الأول على المدرسة بأكملها، لكن في السنة الأخيرة مِن الثانوية التي تحسم أمري، تعرفت على أصدقاء جدد يكرهون لي النجاح والتفوق، وقتها كنت على مقربة من امتحانات آخر العام، في كل ليلة قبل الامتحان كنت ساهرًا،

أحب شرب القهوة من يد أصدقائي الجدد، إنها كانت تشعرني أحيانًا بالضحك الهستيري، كانت لها مذاقًا مختلفًا ليست كأي مذاق قهوة أخرى، أحيانًا أيضًا كانت تشعرني بالضجر والإحباط، كانت تشعرني بافتعال المشاكل، وحين أتى اليوم الأخير من الامتحان، اعترفوا لي إنهم كانوا يضعون مخدرًا ما اسمه غريب لا أذكره، شيئًا شبيه باسم الترامادول، أملًا في رسوبي في الامتحان، نعم، يا سيادة القاضي إنهم أصدقاء السوء، لكنني نلت النجاح، لكن مجموعي ليسَ كافيًا بأن أصبح قاضيًا، اكتفى مجموعي بأن أدخل تجارة جامعة القاهرة، شعرت عائلتي بالخذلان تجاهي، حين انتهيت حصلت على بكالوريوس تجارة جامعة القاهرة، اتخذت طريقي في البحث عن عمل يخص مجالي، لم أجد شيئًا مِن هذا القبيل، أصبحت أبحث عن عملٍ عشوائي، وجدت عملًا في مجال الأمن وتم توزيعي فرد أمنٍ في حوش عمارة، ياألله، لا، للإحباط النفسي الذي يتملك مني، كوني لم أجد العمل في مجالي الذي أصبحت أُحبه، راتبي في الأمن ضئيل جدًا يا سيادة القاضى.

-كانت فتاة في غاية الحسن والجمال، الحقيقة أنني أحببت جمالها، أيضًا ابتسامتها المرسومة على وجهها؛ اسمها حسناء، على مقربةٍ مِن سني، والدها محامٍ معروف؛ لذَلِك طلبت الدفاع عن نفسي دون اللجوء لأي محامٍ، إنني تعرضتُ للإهانة مِن المحامي صاحب العمارة، أنا محامي نفسي يا سيادة القاضي.

حسناء تعلم إنني أتقاضى راتبًا ضئيلًا، هي المسئولة عن توزيع الرواتب، كانت تضاعف راتبي، إنها تعلم صعوبة العيش براتب قليل. حقًا، لا أعلم هل هذا حب منها أم شفقةً منها؟

-يا سيادة القاضي، لا أريد براءتي، بَل أُريد الشعور بالعدل، وإظهار المتهم الحقيقي، لا أريد براءتي، ما زلت أنتظر الشعور بالعدل فقط.

*****

الحمار الطموح

أعلم أنني أظلم الحمار مع احترامي الكامل لشخصه، لكن لم أقصد الحمار لهيئته هم مَن يرونه حمارًا وطموحًا أيضًا، هُم، هُم مَن يخلقون داخلنا الإحباط، اليأس، يخلقون أيضًا الاكتئاب، الناتج مِن خلقهم الإحباط واليأس، داخلنا فرصة واحدة فقط كفيلة أن تنتج أفكارًا جيدة حيادية تحسن وترفع من الشأن، فرصة واحدة فقط تكاد أن تنتشل كل ما هو قبيح بصورة أشد جمالاً، فرصة واحدة فقط كفيلة بأن تغير كل شيء.

طفلٌ نشأ في ظل الظروف القهرية منذُ نعومة أظافره كان يحلم سواء أحلام يقظة أو أحلام داخل نومه، حُلمٌ لا يكف عن مضاجعته ولا يعرف السبب، حين يسرح بخياله عقله يزين له بأنه يصنع من المادة شيئًا مثيرًا للاهتمام، أثناء نومه أيضًا يرى نفسه يصنع من المواد تماثيل غريبة الشكل ولكنها مصدر إلهام، يرى جمهور من ذوات الفئات المختلفة في مكان ما يحتوي على أعماله التي تكاد في حُلمه أن تباع بأسعارٍ باهظة الثمن. يرى نفسه أمام صرحٍ كبير يحتوي على كل ما هو جميل ومبدع، وكل تمثال يحس عن شيء في قمة الجمال وله معنى وتعبير وظرف معين، يحس بأن القادم أفضل، مازال ذلك الحُلم يقوم بمضاجعته.

حين كبر الطفل وأصبح شابًا طموحه الوحيد أن يصبح نحاتًا مثاليًا، ينحت كل شيء على هيئة تمثال؛ تمثال للحرية، السعادة، الحزن، الملل، الأمل، الاجتهاد، العمل، التسامح، السلام،الحروب، الخير، الشر، الألم. والحيوانات مِن ضمنهم تمثال على هيئة الحمار؛ يراه كائنًا خدومًا جدًا، ويتحمل قسوة البشر، فعل له تذكار شكر وامتنان لخدماته، وأخيرًا تمثال يحتوي أبهى صور الإنسانية؛ ولأنه رأى مُنذُ نعومة أظافره من تعاملات قسوة القلب مِن قِبل أشخاص لا يعرفون الرحمة، ظروفه القهرية، يسمع صوتًا داخله افعل كل ما هو جميل لا تكترث لهؤلاء المرضى، لا تكترث لهم كن أنت فقط، لا أحد يفيدك بشيء سوى تلقي الصدمات والإحباط، كُن أنت فقط.

وبدأ يفكر في شراء مواد ذات جودةٍ عالية؛ لكي يملأ شقته مبدأيًا بتحقيق ذَلِك الحُلم، حُلم النحت، شقته كانت متحفًا صغيرًا يريد تنشيط السياحة بأعماله الفنية والتقنية الدقيقة في إخراج موهبته يريد أن يصبح نحاتًا كبيرًا ويبني متحفًا يصنع له تاريخ، مثل أمجاد الفراعنة، يريد أن يصبح فرعونًا في العصر الحديث، يريد أن يضع بصمته تظل إلى الأبد قبل أن يموت، يريد أن يترك بصمةً له، تأثير له، يتعلم منه أشباه البشر، يريد توصيل فكرته بالنحت، يريد أن ينشئ إحساسًا للخير بالنحت، السعادة بالنحت، الأمل بالنحت، الاجتهاد بالنحت، أيضًا الشعور بالحزن بالنحت، اليأس بالنحت، الدموع بالنحت، الحروب بالنحت، السلام بالنحت، التسامح بالنحت، يريد

تحسين صورة الحمار بأنه خدوم جدًا، يريد من بصمته أن ينظروا للحمار بصورة جيدة ويقدموا له الشكر والامتنان على تحمل قسوة البشر، يريد أن ينشئ من التماثيل تفكيرًا لأُسس الحياة.

الإحباط، واليأس، والقسوة، ظروف قهرية التي تعرض لها مُنذُ نعومة أظافره وجدها، لكن حينَ كبر مِن الفئات الكبار بأكثر قسوة واستهتارًا ولامبالاة من الذين يحبون مصالحهم الشخصية ويكرهون التطوير الذاتي للفرد، التطوير في تحسين الصور لجيراننا. مازال الحمار لن يتلقى الشكر والامتنان بل أصبح مهانًا أكثر.

*****

هلاوس مِش كاتِب

هل باستطاعتك خلق أملٍ للناس من عدم اليأس؟

كَهْلٌ، كَهْلٌ جاوز سن الشباب أصيب بالشيخوخة، كَهْلٌ لا زال عقله شابًا، يغمره بحور مِن الأفكار، بحور مِن الأماني، كَهْلٌ يتجول في أرجاء المدينة، كَهْلٌ يرى الشباب يتَزَيَّنون، يرقصون، كنت مِثلهم، أتزين، أرقص، كنت أهتم بمظهري الخارجي، أيام شبابي أستمتع بشراء قميصٍ جديدٍ، أصبحت لا أكترث بمظهري الخارجي وشراء قميص مِن القماش، القميص الحقيقي يكمن بين طَيّات الكتب، عُري الجسد ليس عارًا، بَل العُري الفكرِ أفضح كثيرًا.

في إحدى الأيام، يتجول في أرجاء المدينة لمَح من بعيدٍ، عربة خشبية من طراز قديم بعض الشيء عليها المزيد مِن الكتب، المزيد مِن الأفكار التي مصيرها الأرصفة، لا أحد يعطيها اهتمامًا، تحلو ببعض مِن الامتِناع، تحلو ببعضٍ مِن الزهد بين طَيّات الكتب، ما أجملك يا صاحب سمو العربة المليئة الحاملةُ بالأفكار!! تبيع أوراقًا بأسعار قليلة الثمن ولا أحد يزهد بين طَيّاتِها، الكوكب الذي يَنبع حرية هو العقل، لا أدري إذا كان صاحب سمو العربة، هل يعلم ما بداخِل طَيّات الكتب؟ أم يبيعَها لِغَرض الحصول على المال؟ القوة

الكامنة تكمن في العقل، كلما ازداد تطورًا بالعلم والمعرفة أصبح قائدًا، كلما شَك ازداد إدراكًا.

لوحة فارغة تملك أعلى قيمة بنقائها، لوحة مليئة بالألوان الزاهية، تملك أقل قيمة بنفاقِها.

بَيننا اختلافات، وجَبَ علينا احترامِها، لا تكونوا أشباه بَشر، بَل كونوا بَشرً.

أتذَكر عندما كنت في المرحلة الابتدائية، كنت أكره امتحان اللغة العربية بسبب كِتابة موضوع التعبير، الآن علمت فائدتها.

يَروق لي بأن أشبه نفسي بالكلب، الكلب الكائن الوحيد، الذي يُبادِل مشاعره مع الإنسان، مشاعره الخالية مِن الطمَع، الجشع، الكره، الحِقد، الكلب لا يعرف سوى الحب، الكائن الوحيد الذي يتَفوق على الإنسان في الحب، لا يعرف الخداع، الإنسان يعرف الخِداع.

الحزن دليل على بهلاونيتك، هكذا يرون الحزين بهلاونًا.

ما أجمل صَوت الرَعد وتصادُم المطر على أسقف المَنازِل! سكون الليل، سيمفونية نَسيم الهواء، كأنها لوحةٌ فارغة تحوي هدوء الشارع، لا بشر، لا شيء على الإطلاق سوى نفسٍ متمردة على الصَيف، نفس متمردة تستَلِذُ بقشعريرة جسدها عِندما يُلامِسها نَسيمُ الهواء مصاحبةُ الأمطار.

لا أحب السلبية، أخشى أن أحب الشر وأستَلِذه.

ربما بائعة الوَرد ستفرَح إن أهديتها وردة، ربما بائعةُ الهوى سيتجدد فيها الأمل إن ألنت وَجع قَلبها بكلام جَميل.

أعلم أنَني كَهْلٌ جاوزت سِن الشباب، أعلم أيضًا إن ردَدت تِلكَ الجُمل التي أرَددها داخِل عقلي لَن تُفيدَ أحدًا، سوف ينعَتونَني بالمُختَل إذا لَم أكُن كذَلِك، كَوني كَهْلًا لِعدَم اهتمامي بملابسي.

-أهلًا وسهلًا يا صاحِب سِمو العربة الحاملةُ بالأفكار، ما اسمك؟

-أهلًا أيها الكَهْل، اسمي حامد، ما اسمك أنت؟

-اسمي لا يهم لَن يُفيدَك بشيء، أُحَبَّذ مُناداتي بالكَهْل.

-حسنًا أيُها الكَهْل، ماذا تُريد؟

-أريد كِتابًا يُسمَّى الخيميائي لكاتب يدعى باولو كويلو، هل أجد ما أبحث عنه؟

-لا أدري سوف أبحث عنه لَكَ، لكِن هيئتك لا تدل على إنكَ قارِئ، دَعَكَ مِن هَيئتي يا حامد، ما رأيك في باولو كويلو؟

-لا أعرفه أيُها الكَهْل، الآن لقد علمت أن الكتب أقل سِعرًا مِن الأشياء الأخرى، الثقافة مهدور حقِها مَصيرها الأرصفة، حسنًا يا حامد، سوف أقول لَكَ نبذَة عن الكاتِب باولو كويلو.

-حسنًا أيُها الكَهْل، أنا أصغي إليكَ، في ظِل بَحثي عن الخيميائي الذي تُريده.

-باولو كويلو روائي برازيلي، ولِد (٢٤ أغسطس ١٩٤٧)، تتَميز رواياته بمعنى روحي مستَعمِلًا شخصيات ذاتَ مواهِب خاصة، يعتمد أيضًا على أحداث تاريخية لتَمثيل أحداث قِصصه، نشرَ أول كتبه عام (١٩٨٢) بعنوان "أرشيف الجحيم"، حينَ نشر كتاب "الخيميائي"، كاد الناشِر أن يتَخلى عنها في البداية، لكنها سُرعان ما أصبحت مِن أهم الروايات البرازيلية وأكثرها مَبيعًا، تعدُ الخيميائي أشهر رواياته وتمت ترجمَتها إلى (٨٠) لُغة.

-جَميل أيُها الكَهْل، أظُن إنني أجهل الكثير، لقد وجدت الخيميائي، دَعنا نقرأ نَبذَة الكِتاب المختصرة خلف الغلاف.

-حسنًا يا حامد، سوف أقرأهُ لَك.

-الراعي الشاب الإسباني سنتياغو، رحلته لتحقيق حُلمه الذي تكَرر أكثَر مِن مرة يبحَث عن كنز مدفون في الأهرامات بمصر ووراء هذا الحُلم ذَهَبَ سنتياغو ليُقابِل في رِحلته الإثارة، الفرص، الذُل، الحَظ، الحُب، ويفهَم الحياة مِن مَنظورٍ آخر وهو رَوح الكَون، يريد أن يصبح خيميائيًا، إلى أن يَلتقي "بالخيميائي"، عارف الأسرار العظيمة الذي يَحثه على المضي نَحوَ كنزه، عندما تَقبض إحدى قبائِل الصحراء على سنتياغو ومرافقِه الخيميائي حيثُ توضَع العِلاقة سنتياغو والكَون على المحك، لكِنه ينجَح في الاختِبار ويَنجو مِن المَوت، يُتابِع بعدَها الرجلان رحلتهما حتى يصل وحده أخيرًا إلى الأهرامات، ثُم يَكتَشِف أن ما يَنتظِره هو علامة أخرى ليصِل لكِنزه.

-رائِع أيها الكَهْل، كنت أجهل ذَلِك العالم الذي يُكَمِن داخِل طَيّات الكتب، عالمٌ مليء بالأفكار، أتدري أيُها الكَهْل؟ لقد ظَلمتُ نفسي كثيرًا، أجلِس هنا منذُ سنوات أبيع الكُتُب ولا أعرف ما بداخِل طَيّاتِها، أجلِس أمامِها مُتَأَمِّلًا غُلافِها، أشعر بالملل حينَ أقرأ.

-أتعلم يا حامد؟ المَلَل يدل على الكَسل، أنت اعتَدت الجُلوس هُنا لبَيع الكُتُب لتَجِد المُقابِل مِن خِلال بَيعك لها، فَما بالك بالمُقابِل المَعنوي الذي يفتَح لَكَ أُفقًا كثيرة مِن الشَغَف لقراءِة كِتاب جَديد لتزدادَ إدراكًا كبيرًا بالشيء.

- لماذا أتَيت مُتأخرًا أيُها الكَهْل؟

-لقد أتَيت في مَوعِدي المناسِب، لو كنت أتَيت قَبل ذَلِك مُنذُ سنواتٍ، لَن تَكون مُدركًا مِثلَ الآن.

- لماذا اخترتَني أنا دونَ البَقية؟

-أرى فيكَ نَفسي التي أهملتها لكِن تَيقنت نَفسي متأخرًا، جِئت إليكَ بالأمل؛ لأنني أرى فيكَ الأمل.

-حسنًا أيُها الكَهْل، لكِن ما اسمك؟

-اسمي لا يهم لَن يُفيدَك بشيء، أُحَبَّذ مُناداتي بالكَهْل.

*****

أضغاث أَحْلامٍ

تلكَ الأذن التي تصغي لأي شيءٍ سواء صوت تلك الذبابة اللاصقة حول محيط الأذن، صَوت ضَجيج السؤال داخِل عقلي، يا له مِن ضَجيج.

لا بأس بهِ إنه غَير مُبتَذِلٍ، صَوت بكاء ذلك الطفل حين أمسكه طبيبٌ من قدَميه ضاربًا ظَهره، صَوت صراخ تلك الأم التي فقدت طفلها قبل أن يمسِكَه الطبيب مِن قدميه، صَوت رياح عاتية مَليئة بالأتربِة، الأتربِة تَعصف كل ما تمر به دون تراجع، دون اِستِسلام، الأتربِة وضعت كامِل الثقة في تِلك الرياح؛ لكي تستقبِل مِنها دفعَة قَوية مِن فِعل الرياح لِتَعصف كل من يقف أمامَها. كَم نَحن ضعفاء أمام تِلك الرياح الحاملة بالأتربة، الطبيعة قوية جدًا في التحَكُم، تتحَكَم بكل شيء، تحَكَمَت في تِلك الرياح الحاملة بالأتربة، هدأت أيضًا مِن عصفِها بِسقوط سيول مِن الأمطار.

في إحدى الأيام يا ساندي، سُرعان ما استيقَظت مِن حُلمي، ليسَ حُلمًا بَل أشبَه بِكابوس، غَليله يكمِن في قَلَقي، في ذاتَ يَومٍ حلمت أنَني أسقط مِن أعلى قِمَم جِبال الهمالايا وقبل أن يَلمس جسدي المحيط المتَجمِد بعدة أمتارٍ لاحِظتُ صَخرَة جَليدية لَها سن مُدَبب، سُرعان ما استيقَظت مِن حُلمي على صَوت أمي تُناديني، لِماذا تَصرخ يا بُنَي؟

-كابوس يا أمي، كابوس يكاد أن يَقتلني ويمَزِقني إلى أشلاءٍ.

-حسنًا، حسنًا يا محمود، اشرَب هذا الكوب مِن الماء لكَي يُهَدىء مِن رَوعَك.

-شُكرًا يا أمي.

-هيا اذهب إلى النوم يا بُنَي.

هَكذا دار الحَديث بَيني و بَين أمي.

-مَهلًا، ما هذا الصَوت يا ساندي؟

-لا أدري، أعتَقِد سقوط جسد ما في مكانٍ ما بِجانِبَنا، وصَرخِة أم تكاد أن تَنتَشِل حُلقومها مِن جَوف رقبَتِها فِداءً لابنتَها التي ألقَت بِنَفسِها مِن أعلى شرفَة في الطابِق الحادي عشر، هيا بنا نرى.

لكن، ما الذي أوحى لساندى أن ما حدث انتحار؟ وكيف لها أن تعرف رقم الطابق؟ هناك لغز ما، لا أدري، لكن يكاد أن يكون انتحارًا، وتكاد أن تكون جريمة، يَغمُرَني الفضول بأن أعرف، ماذا حدث؟ سوف أعرف مِن أحد المُتَجمَعين حول الفتاة، ازداد فضولي أكثر كلما قال لي أحدهم أنني لا أعلم، ماذا حدث؟ سيأكل الفضول رأسي، أريد أن أعرف، كدتُ أن أنسى ساندي بسبب فضولي، لماذا اختفت فجأةً؟ لكنني لا أخافُ عليها، لأنها في عز الشِدة فرَسة جامحة لا يعيقها شيئًا. سأترك الفرَسة الجامحة وأبحث عن ما يُثير فضولي، هناك صوت يقول أنها ماتت مُنتحِرة، صوت آخر يقول أن أحدًا ما ألقاها مِن الشُّرفة، مهلًا ما هذا الصوت؟ إنه صوت أمي، تقول كلمات غير مَفهومة، إنها تسألني مَن هي ساندي التي وَصفتَها بالفرَسة الجامحة؟

-لا شيء يا أمي، لا شيء، هناك فتاة مُنتحِرة، أو شخص ما قام بإلقائِها مِن الشُّرفة، لا أحد يعلم، ولكنني أريد أن أعلم.

-كفاك هلوسات أثناء نَومَك واستيقِظ.

-أين أنتِ يا أمي لا أراكِ؟

-أنا هُنا يا محمود، في المطبخ أفعل لكَ الغداء، استيقظ يا بُنَي، أنت نِمت كثيرًا وازدادت هلوساتك.

-لحظة يا أمي، هُناك مَن ألقى بنَفسه مِن شُرفة أخرى، لكن لا أعلم رَقم الطابق، إنها فتاة أخرى سَمعت صراخها، أثناء إلقاء نَفسِها مِن الشُّرفة، طارِحة بجسدِها أرضًا، ازداد شَغفي بأن أعرف عن سبب انتحار تلك الفتاة، لَكنني أودُ أن أعرف ما السبب الذي يَدفع الإنسان للانتحار؟

-سمعتك يا مَحمود.

-مَن حمزة، أهلًا يا حمزة، كيف حالك؟

-أنا بخير، وأنت يا صديقي؟

-بخير يا حمزة، ماذا سَمِعت؟

-سمِعتك وأنت تسأل نفسك ما السبب الذي يدفع الإنسان للانتحار؟

-حسنًا، أجبني.

-كفاك هلوسات واستيقظ.

-حسنًا يا أمي.

-ساندي، أين كنتِ؟

-في أفكاري ولكن هل يُمكِنني اعتقال صَوتك؟ كُلما اشتاق إلى سماعه أحرِره.

-يُمكِنك بالطبع، أود بأن ألقي عليكِ قليلًا مِن الغزل.

-حسنًا، كُلي آذان صاغية.

- أحيّا الورد عليّ جِفنيه،

يا جِفنُ خُذه لو شِئتَ علَيّ خدَيه،

مَحِا دَمعَيه زَهِدًا في سَعادَته،
هَواك يَحمِل أسرار،
يَداك تَحمِل أقدار،
شعور يُدْمَي مِثلَ جُرحٍ لَم يَسل مِنه الدم،
تَمنَيتُ ولقد عَجَزَ القدرُ عَن ما تَمنَيتُ.
- لماذا عَجَزَ القدرُ عَن ما تَمنَيت؟

صوت ما يُقاطعني، إنها أمي، استيقظ يا بُني، الغداء جاهز.
-حسنًا يا أمي.
-ساندي، ساندي، أين ذَهَبتِ؟ هذا غير معقول، يا فرَسة جامحة لا يعيقها شيئًا..
-محمود، الغداء جاهز.

*****

المُشاغِب

كفى ما هذا الضجيج؟

صوتٌ ما يتحدث بداخِلي، يا لكَ مِن مزعِج، لَكِن غَير مبتَذِلٍ، لَكِن لا أعلم لماذا لا أتحملك؟

انصِت إليّ يا نِصفي الآخر، ذَلِك العالم لا يَمت بالإنسانية بِصلة كَفاكَ عِنادًا وصمودًا أمام مَن يؤذيك حتى لو بِكلِمة، يا لكَ مِن أحمق، يَجِب عليك أن تضَع حدًا لِهؤلاء، أعلم جيدًا أنكَ لن تتغير، سوف تصمت، إنه أنا مَن يعلم ما يدور داخِل رأسك، لأني أعيش بِداخِله.

- مَن أنت؟

-أنا صَوتك الداخلي.

- ماذا تُريد؟

-أريد اصطحابَك لِتَنجو مِن سلبية الآخرين الذين يُمارسونها ضِدْك.

-اصمت، فأنت تسَبِب لي الصُداع، يا لكَ مِن صوتٍ متطفِلٍ لعين، أنا أعرفك جيدًا، أنت الذي تُسَبِب لي الأرق أثناء نومي، أنت الذي تسَبِب لي الصُداع الذي يكاد أن يكون صداعًا نصفيًا، كَفاكَ ضجيجًا أرجوك، اتركني أخلد إلى النوم، لا تَكن أحمق يا صاح، قُل لي: كَيف عبَرت داخِل عقلي؟

-سُحقًا لكَ، أنت مَن خلقتني بِداخِلك، أنت مَن أيقظتني، أنت الذي تَسببت لي بالصداع.

-اللعنة، ليس أنا مَن سَببته لك، أنت مَن جَعلتني نِصفك، أنت تَسببت في ذَلِك، أنت الذي تَرفُض مُواجهة الآخرين، أنت الذي تتحدث إلى نَفسك في المِرآة، لَكِن عليّ أن أحذِرَك، ولن أكون ساكنًا بعد الآن.

- مِن مَن سَتُحَذرني؟

-أنت تعلم يا نصفي الآخر، صديقك أمجد، وتعلم ما مدى حُبك له أنت تتخذه أخًا وليس صديقًا، أليسَ كذَلِك؟

-نعم، يا صوتي الداخلي، إنه عزيز إلى قلبي، لِماذا تَصمت الآن؟ ماذا فعل صديقي؟

-أعلم أنني بِخَير، إن ما يَحدُث لي مُجرد هلوسات ليس إلا، أتمنى أن تكون كذَلِك، سوف أذهب إلى النَوم.

-آااه، رأسي يؤلمني.

-أنا أتيت لكَ مثل البارحة، لا تقلق.

-لا أعلم، هل أنت كيان أم مُجرد هلوسات تُداعِب عقلي؟

-أنت الكيان ذاته، أما أنا صوت داخلك يسعى للخروج مِن جَسدَك الذي يُحاصرني مِن جميع الجوانِب، لَكِن لم يفلح الأمر بأن أكون خارج جسدك؛ لأنك كيان وأنا أيضًا كيان، كِلانا كيان واحد.

-اصمت، دعني أشرب كأسًا، أريد أن أكون مخمورًا، لا أريد سماعك داخِلي،أتعلم أيها الصوت اللعين، أنا أستمتع بِذَلِك الكأس.

-أعلم، أعلم؛ لِذَلِك كل ليلة تكون مخمورًا، لدرجة الإغماء، تكون مخمورًا ثم تستيقظ للصلاة، يا لكَ مِن مُنافِق، ثم تقول إن الله غفور رحيم.

-اصمت، لماذا هبطت إليّ كما الطائرة التي تهبط هبوطًا اضطراريًا؟

-لعلَّ ذَلِك الهبوط خيرًا، لا تقلق.

-الحياة عشوائية، ألا تدري ذَلِك؟!

-أدري، وأعلم ذَلِك جيدًا.

-أنا طيب.

-أنا داخِلك، لكني شرير.

-كانت تمتص كُل مِلم طاقة، وأنا على أمل، أفقد الأمل في الجُرح إنه يلّتئم.

-أنا هُنا لكي أخلق لك، الشغف.

-لقد أفرَغت الطاقة الكامِنة، بداخلي.

-أنا خلِقت بداخِلك مِن خلال إفراغ، تِلّكَ الطاقة..

-عندما القلب يقف العقل يأخذ كُل الطاقة.

-اعتبره عربون صداقة، أُتركها تِرضى بسيء، لما الأسواء يأتي تِحن.

-لا أريد حنانًا فحسب، أريد احتواءً، اصمت لماذا تجعلني أتذكر؟

-سُحقًا لكَ أيها الصوت اللعين، الذي يقطعني من الداخِل، أتعلم!

-الدراما، جعلت مِن الكبت كيف.

-انصِت إليّ.

-لن أنصِت، أنت الذي سوف تنصِت إليّ الآن.

-أنت وهمٌ، وهمٌ لعين، أنا لست مريضًا أنا بخير، لن أغادر غرفتي، الكُتب أفضل مِنك.

-لحظة!

-اصمت، ثم انصِت فحسب.

-أتعلم أيها اللعنة، أنت اكتئاب أعلم ذلِك جيدًا.

-أين حقي؟

-أيها الاكتئاب اللعين، لماذا تقوم بزيارتي دائمًا؟

-لم أكترث لك بعد الآن، هي مجرد حقنة هواء تكاد أن تُدخلني العدم.

-لكن، ما هو العدم؟

-العدم هو أنني أعيش الآن، أما العدم الذي أقصده هو إنني أحيا داخله، في ذلك القبر الذي سوف أحتضنه، حين يحملون جسدي إلى ذلك المسجد ليقوموا بدورهم، ثم يتركونني داخل ذلك القبر الذي سوف أحتضنه، و هم يحملونني سوف يرون تلك الحقنة الفارغة من الداخل، سأكتب لهم وصيتي بأن يدخلوها معي داخل ذلك القبر الذي سوف أحتضنه؛ لأن تلك الحقنة هي صديقتي لي سوف تنتشلني من العدم الذي أعيشه.

-وجهي أصبح شاحبًا لدرجة لا تطاق، لا أدري، ما الذي يحدث لي؟

-لا أفهم حقًا تركيبة جسدي هذا، لماذا أنا جسدٌ؟ لماذا لم أكُن هواءً؟

-عذرًا، لم يعُد النوم مفيدًا الآن، لم يعُد يصلح للهرب، ما دام ذلك الأرق اللعين الذي يصاحبني دائمًا، تبًا لكل شيء.

*****

عالم آخر

-ها أنا أحدِثكُم مِن عالمي الآخر، العالم الذي أقصده حتمًا ليس عالم الأشباح الخفية، لا بأس بها إنها لا تؤذيني بشيء، مُسالمون، ليسوا مُتشددين، أتؤمن بالأشباح يا سعيد؟

-نعم، أؤمن بوجودها إيمانًا أعمى، حدثت لي أشياء خارج قوانين الطبيعة، أنت هل تؤمن بوجودها؟

-أنا لا أعير لها اهتمامًا قط، اهتمامي فقط هو البشر وأفعالهم، البشر هم الأشباح الحقيقيون، دائمًا يثبتون أنهم موجودون، دائمًا يظهرون الجانب السلبي فقط، أتدري يا سعيد؟ دائمًا أشعُر أنهم يقولون نحن هنا لندس فيكم الرعب، حتى الحيوانات لم تسلم من شرهم، نحن هنا لنَدِس فيكم الرعب، يا حمقى.

أقذر شيء يفعلونه، قدموا لنا نعشًا لطموحنا، أهدافنا، كل شيء فينا تم دفنه حيًا، خيالي يا سعيد هو الذي يسَيطر عليّ في أرض الواقع، أرض النفاق، أرض لا تصلُح للصُلح مع الذات، لكِنها أرض تصلُح لجميع الملذات.

-قال، جورج أورويل:

- ما الذي قد يقتل شابًا في ٢٤ من عمره يا دكتور؟ حادث؟ سرطان؟

- لا يا دكتور، نحن تقتلنا التعاسة، اليأس، جرعة زائدة من الكآبة، رؤية الأحلام وهي تتحطم.

-ها هي قد أتت أسماء، متأخرة كالعادة، لا بأس جيد إنها أتت.

-أهلًا أسماء، هذا صديقى سعيد.

- ما هذا المقهى الغريب يا حسن؟

-إنه مقهى المثقفين، والمنبوذون أمثالي، لقد اعتدت الجلوس عليه.

-حسنًا، حسنًا، لا بأس به.

-ماذا كُنتم تقولون قبل أن آتي؟

-كُنا نتحدث عن البشر وأفعالهم، ومهوسون بالملذات، وملاذَهُم هو الإحباط والخزي، والحقد، عندما يرون شخصًا ناجحًا يقومون بإحباطه، فإنهم عجزوا أن يكونوا مِثل الناجحين.

-المجتمع حقير، حقير لدرجة إنه يستحق الفناء، مجتمع ينبُذ الغِناء والمواهب الظاهِرة؛ لكي يدفنها حية، يقولون إنها مِن أفعال الشيطان، هل الشيطان يفعل مثل أفعال البشر؟

-نعم، يا حسن، هذه أفعال الشيطان.

-دعني أنتهي من حديثي يا سعيد لا تقاطعني، لو كانت هذه أفعال الشيطان، فأنا أحبها؛ لأنه يُحِب الجمال، الشيطان الحقيقي هو مَن ينبُذ الجمال مِثلك تمامًا، خلايا أدمِغَتهم تتبرأ مِن المنطق، مِثلك تمامًا.

نَفحَةٍ مِن الهواء جاءت كي توقِظني مِن الهراء، تحتاج دعامات للعقل لكي يعيد تَفكيره من جديد، القاع مظلِم، مُظلِم تمامًا وأنت وأمثالك تحبون الظُلمات، وأنا أسعى إلى الضوء، الضوء الذي يجب تسليطه على المجتمع لكي يَقُوم بتنويره، أسعى لتحقيق المدينة الفاضلة، التي سعى لها أفلاطون الفيلسوف اليوناني.

-حسن، أريد أن أقول شيئًا.

-أنصِت لكِ يا أسماء، تفضلي.

-جميل أنك تنصِت لي، لست مثل الآخرين، الذين يقولون على الفتاة لا يجب عليها أن تتحدث، لقد اجتمع المُجتمع أن الفتاة ليس لها تفكير، اجتمع المجتمع أن الفتاة ليس لديها أحلام، ولا طموحات ولا حتى أهداف تسعى لتحقيقها، اجتمع المجتمع أن الفتاة ليس لديها حرية اختيار في مَظهرها، ملابسها، اجتمع المجتمع بأن الحُب حرام، ثم اتخذوا التحرش غاية، يجب على حواء وآدم أن يتفاهَما أفضل مِن كَونِنا آلة.

-هذا ما سعى له أفلاطون ليحقق المدينة الفاضلة، بدلًا مِن أن يجتمع المجتمع على منع الذي لا يروق له، نحن الآن في مدينة الأحياء الأموات.

-حسن.

-انصت فحسب، لا تقاطعني يا سعيد، تعلم آداب الحديث.

-أفلاطون يجب تدريس أعماله في المدارس والجامعات؛ لكي يتعمقوا بالارتقاء ومستوى الصلح مع الذات.

- جيد جدًا يا أفلاطون، أنت الآن تستريح في باطِن الأرض، لو كنت حيًا بيننا الآن، كنت ستتخلى عن مدينك الفاضلة التي كنت تسعى لتحقيقها، وبدلًا مِن أن تَكتُب عن الأسلوب الحضاري، بعيدًا عن التعقيد والروتين، وبما أن مدينتك الفاضلة أساسها الإنسان نفسه سواء مسئول أو حتى عامل يجمع القمامة، وبدلًا مِن أن تَكتُب عن المثالية، والوعي، والرقي، الذي يجب أن يتجسد في سلوك الإنسان.

-هل كنت ستزال تكتُب عن المثالية والوعي والرقي؟ أم كنت ستَكتب عن الطمع، الحقد، الأنانية، الحمقى الذين يتخذون العُنف لإشباع رغباتهم السادية،

-سؤال آخر هل كنت ستزال فيلسوفًا في ذَلِكَ العصر الذي يُسمى بالأحياء الأموات؟

-أتعلم يا سعيد، أفلاطون ليس ميتًا بل هو حيًا بأعماله، يجب أن تفكر لتعلم، تفكر لتحظى بالنضج، أنا أحزن عندما أرى شخصًا جيد التفكير يستخدمه استخدامًا سيئًا وبإمكانه أن يستخدمه في النفع، أحزن أيضًا على الوعي الذي أصبح مِثل بطارية هاتف فارغة قد تلفت بسبب سوء الاستخدام، سُحقًا. أنت مُحاط بِكَمٍ مِن الصُعوبات، ها هو الغار، وها هُم الكُفار ولا يوجد أمل أن يأتي العنكبوت، لكن يا حسن، الكلمة ليس بها تأثير، ما أكثر أعداء الكلمة، يا سعيد.

شر النفس يا سعيد، أسهل تبرير له إن الحياة شريرة، ينظرون إلى الجانب المُظلم الذي بداخلهم، ولم يسعوا لكي ينظروا إلى النور الذي يكاد أن يُعتَم بداخلهم، يوسف إن لم يلقوه إخواته بدافع الغيرة داخِل البئر، لم ولن يقفز بداخله؛ أوقات شرور نفوس البشر تكون دفعة للأمام، وخطوة للأمام.

*****

مِن المَهد إلى اللّحد

مَرّ مِن هنا صفوان يناهِز عمره الثمانين عامًا، لكِن لم يعلم مصيره، لم يدخن في حياته قط، فلم يكن مخمورًا مِن قبل، فقرر أن يجرب شرف التجربة، بحكُم أنه لم يعش شبابه، هذا هو سبب شغفه للتجربة في ذَلِكَ العُمر، فهو ذو صحة جيدة لم يُفكِر قط في إهدارِها، كان يسن القوانين في شبابه، مِثل حداد جبان يسِن سيفًا لِرَهبة عدوه اللدود، ولا يعلم بأن عدوه يمتلك أسلحة غير السيف، فهو حتمًا الخداع المصاحب بالذكاء، لقد ترك والد صفوان في شبابه بذورًا فاسدة لا تصلُح للزراعة فأصبح صفوان مِثل أرضٍ بور بداخِلها بذور فاسدة.

-ما هي الجدوى مِن إلباسك جلد ذئب وأنت بداخِلك فأر متخاذِل؟

-فاقِد الأمل في تجربة اللاشيء، ما أجمل تجربة اللاشيء سوف يصبح شيئًا، وشيئًا روتينيًا أيضًا.

- ما فائدة فقد الأمل في تجربة اللاشيء ويصبح شيئًا؟

ولأن صفوان يهاب والده ومِن عاداته التي يُمارسها عليه في فترة شبابه، كان صفوان يعاني مِن فرط مشاعره التي تعود إليه بالسَلب -كان بسبب والده- كان عاطفيًا لحدٍ كَبير، وحينَ أحب صفوان في فترة شبابه فتاة صارح صفوان والده ليتقدم لِخُطبتها، رفض والده طلب صفوان بِحجة أن الحُب حرام.

-يجب عليك يا بُنَي أن تتزوج بِبنت عمك.

-لكِن يا أبي، أخوك لم يتقبلني مُنذ ولادتي.

-لا تقلق يا بُني، فلقد قرأنا الفاتحة نيابة عنك غيابيًا، كما تعلم أنا وعمك لدينا شركة كبيرة، فيجب أن تكون شريكًا في حياة نسمة؛ لِكي تكتمل وصية جِدك، رحمة الله عليه.

_أبي أشعُر بأنك تكرهني بسبب المال الذي تعطيه لي، هل تشفق عليّ بإعطائي المال؟

إنها الكلمات، الكلمات كفيلة إنها تغير الإنسان، تخرج الكلمات مِن فم المتكلِم كالرصاص الخارج مِن فوهة المسدس عِند الضغط على الزِناد، وأيضًا تخرج على شكل قلب ينبض لم يصبه سهم يمِيتَه حيًا.

-يا أبي انصت لي، أنا لا أريد الزواج مِن نسمة، يكفي أنها لم تبتسم لي يومًا.

-أنت تعصي أوامري، ولا تُريد تنفيذها؟

-لقد كفرت بك وبأوامِرك، أنت تُريد إشباع رغباتك الدنيوية، ولا تعرف شيئًا عن كيف تكون أبًا فاضِلًا؟

-أتعلم يا أبي، أقصد يا صاح، أنا ألتمس لك العُذر؛ لأنك ضحية عادات وتقاليد نهايتها الفشل، ترى في الزواج المستقبل المضيء، أنت تُريد مني أن أشبِهك، ولا تعلم أنني خرجت للدنيا منفصلًا عنك، أنت جسدٌ وأنا جسدٌ آخر، أنت تمتلك عقلًا ديكتاتوريًا، وأنا أمتلك عقلًا آخر، أنت من جعلتني أكفُر بأوامِرك.

-لماذا يا أبي تُريد لي أن أكون سجينًا في ظِلك؟

لفترة صفوان اكتأب؛ لأن والده لم يعطه فرصة بأن يتخذ قرارًا لِنفسه، حَدَثَ صفوان نفسه، قائلًا: كيف أبدأ التفكير في التخلُص مِن ذَلِك؟

أبي يُريد أن يُخرج أرنبًا مِن قبعة سوداء اللون، وأنا لست أرنبًا بَل أريد التخلُص مِن تِلكَ القبعة، أبي ليس رسولًا بَل غَرَقَ في شر نفسه، أكاد أن أشعر بأن أبي قد سَولت له نفسه بأن مَوتي راحة في سبيل إرضاء رغباته مِن خلالي. الإيمان كِبر وليس اجتهاد فيه فِهم غامِض، كونك يا أبي أفصحت عني مِن خِلال عامِل التعرية، هذا ليس معناه إني أقل وأنت أعلى مرتبة مني.

أنت يا أبي لا زلت أنانيًا، القرب ترياق فاسد، التخلي هو العلاج، أنت مُستَهلك وأنا أهلك، إنساني، أنت تقوم ببناء سفينة مِثل نوح، تلخص مضمونها بكثافة رغباتك.

- كيف تتجرأ على قول ذَلِك لي؟

-إنه خبرعُري مشاعري، إنني بالنسبة لك مراهقًا في الطاعة، طاعة أوامِرك، لا تحتسي رِيقي مرةً ثانية، لأنني سَوف أخلِق مِن دمائك خمرًا وأحتسيه..

-أنت مريض يا بُني، أنا أندَهِش مِن ردودك.

-بَل أنت يا أبي ذَلِك المريض، ولا تُريد أن تستقيم.

- أتعلم يا أبي؟ تَوعيتك لي تافهة، لم أجِدَك صالحًا؛ لِذَلِكَ لن أذبح ناقة أو جَمل، أنت يا أبي جعلتني أتخلى عن محبوبتي لكي أتزوج نسمة ابنة أخيك، أنت فوضوي، مِثل سرطانٍ يتلِف خلايا الجسد ولكِن بكميات هائِلة مِن الفوضى، الحب أيضًا يفعل ذَلِك، الزواج هذا ليس في صالحي، كما قُلت لك

إنها لم تبتسم لي قط، الزواج والحُب نقيضان كِلاهما يترُك كميات مِن الفوضى لكِن بنسب متفاوتة.

-تبًا لي، لماذا أتذكر فترة شبابي وأنا عُمري يُناهِز الثمانين عامًا؟ إنها النوستالجيا، النوستالجيا مرض من المُفترض مُعالجته،

سوف أستريح قليلًا مِن السير، وأجلس على ذَلِكَ المقهى قليلًا، أريد احتساء فنجان مِن القهوة، وأسترخي قليلًا.

-مساء الخير، هل تُريد شيئًا؟

-نعم، أريد فنجانًا من القهوة بدون سكر.

-حسنًا.

حين أتى فنجان القهوة الخاص بصفوان، وبدأ في ارتشاف رشفة منه، ثم نظر في أرجاء المقهى وجد جاره الودود، ولأن صفوان كان ينتقد تدخينه، طلب من جاره الجلوس معه على نفس المنضدة التي يجلس عليها صفوان، ثم صافح بعضهما الآخر، يسأل صفوان جاره كيف حالك يا عطية؟

-بخير، يا صفوان.

-أريد مِنك يا عطية، طلب سخيف.

-تفضل يا صفوان، على الرحب والسعة.

-أريد تجربة التدخين، هل تود أن تُعطي لي سيجارة؟

نعم، نعم، تفضل يا صفوان.

-شكرًا لك، يا عطية، هل تحتسي الخمر يا عطية؟

-أحيانًا، على فترات متفاوتة.

-حسنًا، ما رأيك بأن تحتسي اليوم؟

-هيا بِنا، يا صفوان، هُناكَ بارٌ قريب مِن هنا.

-حسنًا، لكن أنا خائف يا عطية، ها، ها، ها، لم أجرِبها أيضًا مِن قبل.

-لا تقلق، سوف نحتسي القليل فقط، ها نحن نكاد أن نَصِل، سوف تشعر بالكثير مِن السعادة.

-ها نحن قد وصلنا إلى البار، هيا لنَدخل.

- هل تُحِب أن تجلس هُنا بجانب الجزء المفتوح في الهواء؟

-نعم، هذا مناسِب جدًا، هيا بنا.

-أتى النادل بقائِمة الشراب ورحب بِهم، وقال لَهُم سوف آتي بعد خمس دقائق أقوم بأخذ طلباتَكم.

-حسنًا، ما اسمك أيها النادِل؟

-أمجد، اسمي أمجد.

-حسنًا، أمجد، على الرحب والسعة، نحن نعلم ما نريده، نريد كأسين مِن الفودكا، بقطعتين ثلج فقط لا أكثر.

-حسنًا، تحت أمرك.

-ها قد أتى أمجد يا عطية بكأسين الفودكا، أخيرًا سوف أنال التجربة.

-شكرًا، أمجد.

-دعنا نحتسي يا صفوان، ولا تفكر بشيء.

-بصحتك يا عطية، أراهم يفعلون ذَلِك في الأفلام.

-حسنًا صفوان، بصحتك.

-عطية، أشعر بِدوار داخِل رأسي.

-هذا شعور طبيعي، يا صفوان.

-أتعلم يا عطية، إنني متشوقٌ لكي أحتسي كأسًا آخر.

-وأنا أيضًا، يا صفوان.

-أمجد.

-نعم، تفضل.

-نريد كأسين آخرين.

-حسنًا، على الفور.

-أريد سيجارة يا عطية، لكي أدخِنها مع الكأس.

-تفضل يا صفوان، تفضل لا تشعر بخجل.

-ها أتى الكأسان على الفور.

-بصحتك يا عطية.

- لماذا تبتسم يا صفوان؟

-ها، ها، ها لا شيء.

-أتعلم يا عطية؟ الوعي تم فصله لقد تم فصل رأسي عن الواقع، الخمر شيء جيد، ها، ها، ها.

-وقبل أن يلفظ صفوان أنفاسه الأخيرة كان يضحك ضحكًا هستيريًا متحسرًا على فترة شبابه، ثم لفظ أنفاسه الأخيرة وانهالت رأسه على المنضدة، ثم ضحك صديقه وقال: إنها أول تجربة بالنسبة له، لعله يفيق.

*****

طاووس الجنة

نحن مَن نقرر، نحن مَن نختار إذا كنا فرسان أو عبيد؛ مِن كَبت لخوف، لنَشوةٍ زائِفة، ها أنا قد أنجبني رَحِم الجحيم لأخرج لَكم النَشوة الحقيقة، إنها التفاحة، بسببها تم طرد آدم بأمر من الله أن يطرد من ملكوته.

أتدري يا صديقي، الشر يغويني مِثلهم، لكنني أعلم أن الشر مجرد شهوة وتنتهي ومدتها أقل مِن العشر دقائق.

إنها ضآلة العقل يا حمزة، أتدري لم أكن يومًا أن أحِب مخلوقًا من النار، كان طاووسًا في يومٍ ما، أدركت أن ذلك الطاووس يغويني حقًا.

- لكن كيف يغويك؟

- إنه يبعث بداخِلي النَشوة الحقيقة، نَشوة فعِل الخير، نَشوة العطاء، نَشوة الصمود المطلق، نَشوة الحرية، ويعطيني أكبر نَشوة على الإطلاق وهي الحب، إغواؤه لي يشبه بالاحتواء بكل ما هو جميل، أنا لست مذنِبًا حين أحببت طاووسًا منبوذًا، يجعلني داخِل عالم فيه الموسيقى تعطي دروسًا في التناغم، عالم فيه السلام داخل مزيج الأديان.

-أتعلم يا حمزة؟!

يجب عليك ترويض عقلك، يجب أن يكون حرًا، يفكر بأكثر مِن المنطق نفسه، لا يجب أن تسمح لعقلك أن يخضع لأفكار مختله، التفكير هو أولى علامات النضج، أفضل من أن يفكروا عنك فتصبح عبدًا لأفكارهم، ما أجمل أن يكون عقلك فارسًا يستخدم الجِياد فكرًا.

- ما فائدة اقتلاع شجرة وأنت لا تعلم ما سوف تصنعه مِن سيقانِها؟

- سوف أصنع من سيقانِها تمثالًا.

- ما فائدة التمثال سوى المُشاهدة والتأمل فقط؟

- لا شيء، يا صديقي، أنت ماذا سوف تصنع؟

- سوف أصنع مِن سيقانها سفينة، تحملني وتقوم بحمايتي مِن الطوفان.

- ما فائدة فك شفرة دافنشي وأنت لم تجد حلًا لمشاكِلك؟

- كونك تحب أن تكون عبدًا لأفكار غيرك، فأنت تسمح بإراقة دمائك، يكفي بأنك تعيش عبدًا فهذا يُميتك حيًا، فيجب أن تكون فارسًا، الفرسان قِلة.

- حمزة، لا تَنظُر إليّ بنَظرة الارتجال، كلامي لا يحتوي على أي فكرة فنية، أتدري؟ الموت قد يحيي بذورًا في القبور ستثمر.

- ما أسوأ قرار اتخذته في حياتك؟

- الاستغناء بسبب عدم تقبلي للآراء المختلفة، لكن لا أعلم لماذا أحبَك وأحب أن أصغِي إليك يا محمود؟

- أتدري يا حمزة؟ هذا يدل على نقاء قلبك وتقبلك لي بالرغم من اختلافي معك، ونحن أصدقاء منذُ الطفولة فهذا كفيل إننا نتفهم بعضنا البعض.

- القرار يا حمزة، بمثابة حياتك بأكملها، القرار واتخاذه أمر صعبٌ للغاية فلا تتعجل في اتخاذ أي قرار، إنني ألعب لعبة جيدة إلى حد ما ولكِن تلك اللعبة للأذكياء، وهي أنني أترك لك اللوحة غير كاملة، وأنت عليك تحديد الحقيقة مِن الزيف. ها قد أتت أسماء.

- أهلًا أسماء، كيف حالك؟

- بخير يا محمود، هذا صديقك.

- نعم، اسمه حمزة.

- فرصة سعيدة، حمزة.

- أتدري يا محمود؟ لقد أتى سؤال إلى ذهني بالأمس.

- إنني، أصغى إليكِ.

- ما فائدة الهواء المصاحِب برائحة الدماء؟

فساد المجتمع جعل من تفكيرنا يتغير بشكلٍ جذري، نريد الإصلاح، التغيير، قبيلة مِن العبيد وأنتِ قائدة هذه القبيلة، الخوف مِن الكيان نفسه، يجعل الإنسان عبدًا ذليلًا لكي يشعر بالأمان فقط متجنِبًا شرِك، لكن عندما يشعرون بالجوع يومًا ما ثم يوماً آخر، سوف يصبح التمرد غايتهم الوحيدة، ليسعوا إلى الإصلاح، التغيير، هناك فئة من العبيد سوف تسعى للفساد لأنهم مهوسون بالحرية، فيستخدمونها استخدامًا سيئًا للغاية ومن هنا يأتي الفساد، وفئة أخرى تفَكِر بأكثر منطقية بكل حرية، يعلمون جيدًا كيف تكون الحرية؟

-الحرية مِن وجهة نظر الفئة الأخرى الغير فاسدة، هي الإصلاح، التغيير، مِن أجل تعايش مسالمٍ بين فئات البشر، ولا تنسِ يا أسماء الكيان الفاسد، ينتج فئات من البشر أكثر فسادًا.

-المواجهة خير علاج، المواجهة أفضل كثيرًا مِن دفن رأسك حيًا مثل النعام.

-أتدرون؟ هناك أملٌ ينتظرالجميع، بكل تأكيد الأمل قادِم.

- متسكعٌ، شاردٌ على الأرصفة، في ليالي الشتاء يُشعِل الكثير من أوراق الجرائد، والمجلات، وأوراق الإعلانات، أين؟

- لا أدري، أين؟

- حسنًا، لا بأس.

- ذلك المتسكِع، كان لديه أملٌ، لكن أين أمل ذلك المُتسكِع؟

- كان يتدفأ بالأشياء التي ذكرتها، لكن حينَ أصبحت رمادًا مُتناثرًا في الهواء، انطفأ ذلك الأمل المشع في الأوراق.

- أين أمل ذلك المُتسكِع؟

- أمله كان هو بقاء الأوراق مشتعلة لتستمر في تدفئته، لكن حتى ذلك لم يصمد معه طويلًا.

- الأمل أشبه بطفلٍ أمه توفت حين ولادته ويبقى طيلة حياته يبحث عن نَهدٍ يُشبِع ريقه باحثًا عن الحليب، ويتملك منه الشغف والفضول عن تذوق ذلك الحليب فلم يجده بعد لا زال يبحث عن من يشبِع ريقه.

- حتمًا الأمل قادِم ومصاحب لفرصةٍ جيدة، علينا استغلالِها حين تأتي، لا نريد أن نكون عبيدًا بل يجب علينا أن نكون فرسانًا نستخدم الجِياد فِكرًا.

*****

المَوتُ حقٌ

لا أريد التنَفس مجَددًا، أعطوني نصيبي حقنة هواء حينَ أنظُر في تلك المرآة أدركت إنني على مَقربَة مِن النهاية لكن النهاية لن تأتي بعد، لا زلت أتنفس حتى الآن، أريد أن أرجع على شاكِلتي الأولى نطفَةً كما كنت.

-لماذا لا يَكف عقلي عن الأفكار السوداوية؟

-عيسى، يا عيسى، هل لا زلت نائِمًا؟

-نعم، يا فوزية.

الغداء جاهِز.-

-حسنًا، هل تتذكرين يا فوزية عندما كُنا جالسين في إحدى المطاعم على النيل في فترة خطوبتنا؟ تتذكرين ما قُلته لكِ؟

-حتمًا لن أنسى ذَلِك اليوم، أتذكر جيدًا حينَ قُمت بتقبيلي أيضًا ثم قُلت لي، إنك تُحِب الظلام.

أتدرين لماذا؟-

-لا أتذكر جيدًا، يا عيسى، لماذا؟

-لا أحبه فقط بَل أعشقه، وهو أحب الأشياء إلى قلبي، الظلام الذي أقصِده هو ليس حتمًا ظلام الأضواء، بَل ظلام العقول والنفوس ظلام اليأس والهزيمة، ظلام المعاناة، عقولنا مضيئة لا تعرف الظلام بَل تعرف المحبة

والوِئام والوِد، عقولنا تُريد الانسجام، الاسترخاء، لا تريد مَن يعكِر مزاجِها؛ لذَلِكَ أحِب الظلام لكي أضيئه، بالمحبة والوِئام.

-نعم، نعم، لقد تذكرت الآن، أنت تمتَلِك ملامِح فلسفية.

-أتدرين يا فوزية، لا أعلم ما الذي يفعله العقل بنا؟

-لماذا كل هذه ألم معاناة؟

-لماذا علينا الصمود في تِلكَ الحياة وهي في الأصل سراب؟

-قلبي يحترِق دون كسور، يكسوه الكدمات أشعُر بها بداخِلي، كدمات ليس لها أثر خارجي، هي كسوة تحيط قلبي، لست طيبًا ولست راضيًا.

-عيسى، لا تيأس، قال الله في كتابه:

﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ ﴾[1]

-لقد مارستني الحياة كما رغبت، أعلم أنني لستُ نقيًا، لكِن لم يتجه نبضي إلى الشر يومًا.

﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ ﴾[2]

---

[1] ق: ١٦.

[2] ق: ١٦.

ربي، أحلامي، أهدافي، أصبحت مجرد ندبات وخدوش وأبواب موصدة دون مفتاح، أشعر أنني أبذل مجهودًا للحصول على نجاح مبهَم، أختنق مِن الداخِل أريد استنشاق القليل مِن مما تبقى مني. ربي، أنا مغلفٌ بالخيْبات.

-سوف أذهب لأجلس مع صديقي سامح على المقهى، إذا أردتِ شيئًا قومي بالاتصال بي.

-حسنًا، عيسى.

لا أدري لماذا يحكم علينا بإصلاح أول خطأ فعلناه بكل رضا؟ لماذا علينا الخضوع والانجراف نحو مشاعرنا؟ حقًا لا أدري، أيضًا لا أدري لماذا يقوم عقلي بطرح تِلكَ الأسئلة؟

- أهلًا بك، يا سامح.

-أهلًا يا عيسى، تفضل.

-لماذا ورقة الحقيقة مكانها يُكَمِن داخِل سلة مهملات أسفل المكتب؟

-لماذا تطرح ذَلِكَ السؤال يا عيسى؟ لماذا يبدو وجهك شاحِبًا؟

-لأن الحقيقة دائمًا مِثل سلة المُهمِلات، يتم إهمالِها دائمًا، إهمالِها بشدة، إهمالِها بقسوة، نترك الحقيقة، ونتمسك بالوهم، والوهم في حد ذاته جهل، جلست بجانب كهلٍ ذات يوم، وكان يحتسي فِنجانًا مِن القهوة سادة بدون سُكَر، حينَ سألته عن السبب قال لي إن في مرارة القهوة مذاقًا آخر، وقهوتك المُحلاة هذه ليس لها أي مذاق؛ لأنك سوف تفقِد لذة احتسائِها، حينَ

تعمقت في كلامه عن القهوة، أدركت بأن الحقيقة مِثل فِنجان قهوة سادة بدون سُكَر، إن لم تُتقِن احتسائِها فلم تشعر بلذة مرارة المذاق، أما عن الوهم فهو مِثل فِنجان قهوة محلاة، ليس لها أي مذاق، فالحقيقة دائمًا مُرة، يتلوها صدمِة المعرفة، أما عن الوهم فهو مريح، ناتج عن عدم المعرفة والجهل بالشيء.

-أما عن سؤالك عن وجهي الشاحِب؛ فهو بسبب الخُذلان واليأس مِن الحياة، حينَ تدرك الأشياء، سوف يعتريك اليأس، قلت لك سابِقًا بأن الحقيقة مُرة، يتلوها صدمة المعرفة، كثرة الصدمات يا سامح، تجعل مِنك شخصًا آخر أكثر بؤسًا، أكثر انطواءً، كثرة الصدمات تجعل مِنك شخصًا يعتريه الانطفاء داخِله، وذَلِكَ الانطفاء مع مرور الوقت سوف يظهر أيضًا على ملامحه.

-قُل لي يا عيسى، ماذا تريد أن تصبح؟

-أريد أن أصبح، نطفَةً كما كُنت.

-أتدري، يا سامح.

-يعتريني الخجل في أن أسأل ربي الجنة؛ لأني لا أريد النار ولست مِن الأعراف، ولأني أيضًا لم أنجُ مني، فهل سيرحمني؟

-جلدي سوف يشهد ضدي ويحرمَني مِن لذة الكِذب، ربي آتيتك وهذا حكم جلدي، فماذا سوف تفعل بمهازلي؟

-الانتحار سوف يشهد، بداخِلك فتور وبلادة، بداخلك كل شيء تمادى، تمتَلِكين مرارِة التعايش، الانتحار سوف يَشهَد..

-لا بأس يا عيسى كل شيء سوف يكون على ما يرام.

-نعم، سوف يكون على ما يرام عِندما أفقد روحي التي تمردت على تجديد نَفسها، فأصبحت لا طاقة لها على تحمل المزيد مِن الصدمات.

-هَدىء مِن رَوعك يا عيسى، لا تفعل ذَلِكَ أرجوك.

-سوف ينتهي كل شيء، حتمًا سوف ينتهي.

-عيسى.

نعم، يا سامح.

قال الله في كِتابه:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾[١]

-لقد تحَمَلت المَزيد يا سامح، لستُ قادرًا على تحمل المَزيد.

*****

١ البقرة: ٢٨٦.

الذواقة

كان جالِسًا وحيدًا في إحدى الحانات يحتسي زُجاجِة الجِعة وهو مستمتع بإحتسائِها، مِن فرط استماعه يكاد يحطِم زجاجته بفمه، يخرج زفيره الملىء بالدخان المتناثَر مع كل رَشفَةٍ يحتسيها، باتت علامات الاستغراب تملأ وجه مايكل واقفًا داخِل البار وهو يقوم بعمل كوكتيلات الخمر بكل احترافية، ولكِن الفضول يدفع مايكل بأن يعرِف مَن ذَلِك الرجل الذي يجلِس أمامه كل يَومٍ في نفس المكان وعلى نفس الطاوِلة، السبب الذي جعل فضول مايكل بأن الرجل لا يتحدث سوى أن يطلب الجعة ويظِل يتأمل زُجاجته في صمتٍ يعتريه وكأن هذه الزجاجة تقول له شيئًا ما، وهو يستمع إليها كأن تِلك الزجاجة تحدِثه عن إطار حياته وتُقدِم له النصيحة أو ما شابه ذلك.

باتت علامات الاستغراب تعتري وجه مايكل حين تحرك ذَلِك الرجل عندما دخلت الحسناء وافْتُتِن بجمالِها، وكأنه لم يرَ امرأةً قط في حياته، ويحدِث نفسه قائِلًا: يا لها مِن فتاة حسناء تدخُل أماكِن تجمع الشياطين، فهو رجلٌ شرقي بحت، تعتريه التناقضات ثم ينتقض غيره في أفعالٍ هو ذاته يفعلها. عَمّت الفرحة وجه ذَلِك الرجل حينَ جلست الحسناء على طاوِلةٍ ما، باتت علامات اليأس تعتري وجهه حينَ جلبَ النادِل فنجان قهوتِها.

-لماذا تلك الحسناء تحتسي القهوة ولا تحتسي الجِعة؟

ذَلِك الرجل ليس لديه مبادىء ولا أخلاق، فهو رجلٌ يحق له أن يفعل ما يشاء في أي وقت ولا يلام عليه، فهو يُدَخِن ويحتسي الجِعة، عندما رأى النادِل

يقوم بتقديم الجِعة لتِلك الحسناء بعد أن انتهت من فنجان قهوتِها، عَمت الفرحة وجه ذَلِك الرجل، فهو يرى كل فتاةٍ تحتسي الجِعة ليسَ لها مبادىء ولا أخلاق ولأن ذَلِك الرجل يعتريه العُهر، فيرى أن المرأة التي تفعل ذَلِك عاهِرةً، يبدو على ذَلِك الرجل إنه يملك الكثير مِن الأموال والأملاك، يريد أن يشتري كل شيء بالمال، لذَلك فقد مبادِئه وأخلاقه من أجل نزوَةٍ عابِرة..

حارس، أهلًا بك يا لها مِن صُدفَةٍ رائعة، سعيد برؤيتك اليوم.-

-أهلًا ماجد، منذ مدة لم أراك كيف حالك؟

-بخير يا صديق.

نظراتي المليئة بالعبث،لم ترق لها لكِن راقت لي نظراتِها المليئة بالخجل

-مَن هي يا حارس؟

- تلك الحسناء الجالِسة أمامنا، يعتريني الشغف يا ماجد.

-ها، ها، ها لم تتغير قط، لا زلت كما أنت.

-ألست متزوجًا؟!!

-تزوجت وقمت بالطلاق منذ سنة بسبب أنني أرجع إلى منزلي مخمورًا، فلم يروقها ذَلِك.

-دائِمًا تعبد النزوة، أنت الآن يعتريك الظمأ.

-يا لها مِن فتاة جميلة وذات قوامٍ رائِع يا حارِس، أتدري؟ أعشق ذلك النوع مِن السيدات سوف أجِلس بجانِبها وأحدثها عن أمرٍ ما يسيطر على أنحاء عقلي، لعلها تستجيب.

-ماذا ستفعل يا مهووس النزوة؟

-سوف ترى يا رفيق، سوف ترى.

-مساء الخير أيتها الحسناء، أريد التحدث إليكِ قليلًا في أمر ما يسيطر على أنحاء عقلي.

-حسنًا، تفضل بالجلوس بجانبي وتحدَث كما يحلو لكَ.

-ما اسمك أيتها الحسناء؟

-أحبذ أن تناديني باسم شيري.

-حسنًا، شيري.

-هل أنت تعرفني؟ وما هو الحديث الذي تُريد أن تُحَدِثني؟

-في الحقيقة هُناكَ شيء جذاب، جذبني إليكِ.

-جسدي هل هذا صحيح؟

-أريد أن أتزوجِك.

-هل أنت مخمور، أم تَعي ما تقول؟

أعي ما أقول، بالطبع.-

-أنت تُريد أن تتذوقني؛ لذَلِكَ عرضت عليّ الزواج، سُحقًا.

-هدئي مِن روعِك، شيري.

-لنفَكِر سويًا في أمرٍ ما، هل مجتمعنا مثاليًا؟

-بالطبع لا، صحيح ما اسمك؟

-ماجد.

-هل مُجتمعنا مثاليًا؟

-بالطبع لا.

-حسنًا، مجتمعنا كاذب بطبعه؛ لذَلك عرضت عليكِ الزواج.

-أعلم أنك تكذب، أنت تريد نزوَةً عابِرة.

-أريد تمزيق الشراع وأقوم بالتجديف وحدي في بحر توقفت أمواجه، نحن شعوب نلجأ للتسلية نريد مهدي يهدي الشعوب ولا نريد صالحًا يقَدم النصيحة فقط.

-رُبما لأنني المخبول الوحيد في هذه الحانة الذي يريدك وقمت بعرض الزواج كاذِب، لأن مجتمعنا ليس مثاليًا.

-ماجد، لماذا تتبع سلبيات المجتمع؟

-غابت شمس الذهاب ولم اهتد لدرب العودة، وبعد عدة محاولاتٍ للبحث عن الدرب الصحيح أدركت أني تائه، اهتديت للمنظر الجميل وقت الغروب، أدركت أني لست تائهًا بل يناسِبني.

-هل أخبرتك أنني سوف أتزوجك؟

- لقد كذِبت جسدك يجعلني أترنح ما بين التوبة والكُفر،

ما بين الصحوة والسُّكر.

-لهذه الدرجة، يا ماجد، تُريد أن تتذوقني!!

-نعم أيتها الحسناء.

وضحك ماجد بطريقة هيستيرية ونظراته تقتحم جسد شيري، سوف نرى يا ماجد مَن سوف يضحك، مَن سيكون الفريسة وتصاحِبها نظرات الثقة والانتقام معًا.

تُحدِث شيري نفسها يا لها من مصادفة رائعة لقد تعرضت للكثير مِن الحوادث التي تُصاحبني كدماتها النفسية دائمًا، عِندما أرى رجلًا مِثل ذلِك، حان وقت الانتقام والهدوء النفسي الذي سوف يصاحبني.

-بماذا تُفكرين شيري؟

-أفكر بسعادتك في تذوقي، لنذهب إلى منزلي، قريب مِن هنا.

-حسنًا هيا بنا.

-تفضل بالدخول يا ماجد، تفضل بالجلوس، سوف أقوم بتغير ملابسي.

-حسنًا، شيري.

-أهلًا ماجد، نورت منزلي.

-يا له مِن منزل رائع.

-دعكَ من المنزل، لنرقص قليلًا.

-هيا شيري، يعتريني الشغف.

-هل تروق لكَ الموسيقى؟

-نعم، إنها جميلة.

قامت باحتضانه وتخفي سكينًا بجانبها، ثم طعنته عدة طعناتٍ مِن الخلف، حتى لقى حتفه.

*****

الشيطان والآنسة ريم

ها أنا أطرح لذاتي، بذاتي تلك الأسئلة الهائِمة التي تعتري عقلي قبل فَترةِ الراحة الجسمانية التي تغيب خلالها الوعي والإرادة وتَتَباطأ بعض الوظائِف البدنية وتَنْشَط الأحْلام، وأثناء تِلكَ الفترة يصيبَني الأرق.

-هل الحُب حقًا موجودٌ؟ أم تم تشويه مِن قِبل المشَوهين نفسيًا؟

-هل أنا المُشَوه نفسيًا؟

-لا أعلم، لماذا نُحِب أشخاصًا تُتعِبنا؟

لم تَعُد الراحة تُناسبني، سوف أتسكع قليلًا، قبل مَوعِد علياء، تُدَندِن ريم كلمات فيروز، مُتسكِعة شارِدة الذهن:

بتذكر آخر مرة شو قلتلّي

بدّك ضلّي بدّك فيكي تفلّي

زعلت بوقتا

وما حلّلتا

إنو إنت هيدا إنت.

-أهلًا ريم، مُصادفة ما قبل المَوعِد، لا بأس بها، لماذا أنتِ شارِدة الذهن؟

-لا عليكِ علياء، هيا لنجلس في مكانٍ ما، مقهى أو ما شابه ذَلِك.

-ريم، ما رأيك بطِلاء أظافري؟

-لونه يُليق بيديكِ، هيا نجِلس هُنا.

-مهلًا يا رفيقتي، ماذا أصابِك؟

-لا أدري، اتركيني فحسب.

-وجهِك توقف عن إصدار أي علامة، بَل هو شاحِب.

-ها، ها، ها أنت لا تدرين بشيء قط، ها أنا عائِم، ومكاني في تِلكَ الفصلة التي تَفصِل بين الحُزن، السعادة، إنه المُنتَصف المُميت، لكِن لا بأس.

-علياء، علياء، اتركي هاتِفك قليلًا لنتحَدث.

-هل يوجد قاضٍ يُشرع بأن كَسر القلب جريمة يُعاقِب عليها القانون؟

حتمًا لا يا ريم، الشيطان هو المذنب.

-لماذا نظلِم الشيطان؟

-الشيطان يا علياء يكمن في داخِلنا كبشر، نحن من نُخطىء في حق أنفسنا، وليس الشيطان من يغوينا للخطأ في حق أنفسنا، الشيطان ليس مسئولًا عن مشاعِرنا، الشيطان ليس مسئولًا عن سماعِنا للموسيقى، لماذا نظلِم الشيطان؟

- الحُب حرام، الموسيقى أيضًا حرام.

-لا تُناقضي نفسِك يا علياء، أنتِ، وأنا، وهُم بَل جميعًا نسمع الموسيقى؛ لأنها تُعطينا دروسًا في التناغم، كِلنا نحتاج إلى الحُب، كِلنا نحِب شخصًا ما والعكس هو الصحيح، هل الشيطان أم الإله الذي زرع داخِلنا تلك المشاعِر؟

-حتمًا هو الله.

-حسنًا، الشيطان ليس مِحورًا للكون مِثلنا تمامًا، لماذا نصدر أحكامًا على مخلوقٍ لا نرهُ؟

-الله يا علياء، هو المسئول عن مشاعِرنا التي تفيض بالحُب والخير، ربما الشر أيضًا. قال لي ذات يومٍ حياتي مِلكٌ له ولا يريد الابتعاد ثم ابتعد، جعل مِن وعوده الزائفة غرضًا، و لا أدري، ما هو الغرض؟

-علياء، لماذا عيناكِ تكاد أن تفيض بالبكاء؟

لا عليكِ، اكملي حديثك انصِت إليك.-

-الحُب يا رفيقتي، انهال عليهِ سعر السوق، قالوا عنه طيشًا، عمق التصور الكياني يفوق كل شيء، يفوق العشق والهيام، أن تنتمي لصدماتك الذاتية، تُقَوي ذاتك، وتحظى بالصمود والتحكُم أمام ملذاتك، الشيطان ليس مسئولًا إنها رغبات نفوسنا لا أكثر ونحن خضعنا لها ولم نسمَع أنين وَسوَسة الشيطان داخِلنا، نحن خضعنا لرغباتنا لأنها أتت سريعةً، ليس لدينا مكانٌ في سماء الحُب، باب الحب قصير لن يدخله متكبِر.

-أتعلمين يا ريم، قد يكون ابتعدت خوفًا مِن المُخاطرة.

-هل الحُب مُخاطرة؟

-الشيطان يا ريم، الشيطان هو الذي تسبب في ذَلك، أغواه كما أغواكِ، لقد رسم الشيطان في مخيلته بأنك تفاحته اللذيذة، رسم الشيطان في مخيلته بأنه سوف يَلتهم عمقها، كما أغوى الشيطان أدم لالتهام التفاحة مِن شجرة معرفة الخير والشر.

-ربما يا علياء، لكِن، لماذا شبح الماضي استيقظ مِن التابوت؟

-لماذا تِلك الذكرى التي نَسج عليها العنكبوت لا زالت تشتَعِل داخِلي؟

-قال لي ذات يومٍ يا علياء، إنني حبل نجاة له وذَلِك الحبل هو من يشنق داخلى الآن.

-هيا علياء، لِنذهب لا أستطيع أن أكمل.

*****

غموضٌ في مصر القديمة

جالبة معها أهوال يَعجَز أمامها الإدراك البشري، حاملة بداخِلها حقد على مدار ألاف السنين، ها هي تستيقظ من سُباتها في يومنا الحالي، على الرغم من أنها مدفونة بسردابٍ في أعماق صحراء لا ترحم، ملكة قديمة سُلبَت حياتها ومصيرها ظلمًا.

يؤدي تحرير هذه الروح من مرقدها إلى عواقب وخيمة، جسدها محفوظٌ في بركَةٍ من الزئبق مانِعًا خروج تِلك الروح من مرقدها؛ لتجنب الأهوال المدفونة التي قد تسبِبها تِلكَ الروح حينَ تستيقظ من سُباتها.

جلس الكاهِن مع صديقه المقرب يوحنا، في إحدى المقاهي الشعبية في حي نزلة السمان، قُل لي يوحنا:

-مَن صاحب تِلك الدار؟

-نحن جيران منذُ زمن، يُدعى بطرس.

لكِن، لماذا تسأل عنه؟-

-أراه دائِمًا في الكنيسة يُصلي ولا يتكلم مع أحدٍ فقط يُصلي ويذهب، أريد معرفته جيدًا أريد صداقته، أشعُر أنه يطمح بأن يصبح كاهِنًا ورُبما راهبًا أيضًا، لا أعلم لكِن أريد صداقته لكي أعلم.

-حسنًا، سوف نتفق على موعِد ونجتمِع سويًا.

بعد انتصاف ليل المدينة.

-ماذا أصابك أيها الكاهن؟

بعد انتصاف ليل المدينة.

-ما معنى تِلك الجملة أيها الكاهن؟

-لا شيء يوحنا، لا شيء أريد أن أرتاح قليلًا، حسنًا، انتظِر الموعِد، تصحبك السلامة سوف أذهب لكي أخلِد إلى النوم.

-أنت ستحظى بمجد الأمجاد والخلود الأبدي أيها الكاهن، ستسبح بين نجوم السماء في عربة تحرسها النار، تسطع بأنوار شمس الإله، بَل ستحظى بمرتبة الإله يُعبد في كل العوالم، لكِن عليك أن تختار ما بين الصعود والسلطة الإلهية وكونك بشريًا، هناك شرط واحِد أيها الكاهن، عليك بالتنقيب في إحدى الديار عن بردية ما تحمِل داخِلها تعاويذ، وقد تكون ألغازًا عليك حلها.

-نعم، نعم، أنت مُحِق يا هذا، رأيت جُعرانًا أمام إحدى الديار، وعن قريب سوف ألتقى بصاحب الدار.

-أعلم أنك رأيته، قمت بإرساله لك كدليل؛ لكي تعلم حقيقة وجود تِلك البردية، إذا تمكنت مِن حل ما بداخِها مِن تعاويذ سوف تحظى بالخلود الأبدي، أرسلت لك ذَلِكَ الجُعران؛ لأنك تمتلِك جزءًا مِن صولجان واس وعليك إكمال الصولجان، لا تقلق سوف يلتصق بِذاته سوف يكون مظهره النهائي عصا يُشكل طرفها العلوي على هيئة رأس حيوان، وطرفها السفلي ذو سنين مِثل الشوكة، ويكون الصولجان مستقيمًا حينَ يكتمل، لكِن لا تتجاهل الأمر، إذا اكتمل الصولجان حتمًا سوف تصبح إلهًا حيث القوة والسيطرة والخلود الأبدي، وامتلاكَك جزءًا منه دليلًا على الحظ السعيد، احذر، عليك اتباع كل جزءٍ مكتوب داخِل البردية وإلا ستفقِد الحصول على مرتبة الإله.

-مَن أنت يا هذا؟

-لا يهم أيها الكاهن، لا يهم لكن عليك تحقيق الشرط الأول والأخير، بعد التنقيب عن البردية وإيجادِها، وهو الذهاب إلى سرداب الملكة نفتيس في أعماق الصحراء التي لا ترحم، جسدها محفوظ داخِل بركَةٍ من الزئبق لمنع روحِها من الخروج، لا تنسَ أنها سُلبَت حياتها ومصيرها ظلمًا، حتمًا تحرير روحِها يؤدي إلى الانتقام، لا تقلق دُمت في أمانٍ؛ لأنك تحمِل جزءًا مِن الصولجان، ذَلِك الجُزء الذي تملُكه سوف يقوم بتحرير روحِها مِن الزئبق، لكِن روحِها سوف تتمكن مِن الدخول في جسدك تسعى للانتقام، نفتيس ليست مِن الآلهة الرئيسة على الرغم من مكانِها المهم في التاسوع المقدس، إذا تمكنت مِن تحرير روحِها سوف تقودك إلى تحرير روح الإله ست أخيها وحينها يكون لديك القوة المطلقة والسلطة والنفوذ.

فُزع الكاهن من النوم على اتصال صديقه يوحنا ليؤكِد الموعد لمقابلة الكاهن بصاحب الدار الذي يُدعى بطرس.

- حسنًا يوحنا، اليوم الساعة الثالثة عصرًا.

-في انتظارك أيها الكاهن.

-كيف لي أن أقنع صاحب الدار بالتنقيب داخِل منزله؟

-لا بأس، في هذا العالم لكل واحد ملعبه الخاص وطريقته باللعب، والكثير يبدع بمجال اللعب عنده، ولكن هناك من يتميز بالظلم والتفنن في القهر والتعذيب والتهجير، وهناك من يتميز في الألم والوجع وهو بقمة الانتشاء.

-مساء الخير يا رفاق، كيف حالكم؟

-أهلًا أيها الكاهن نحن بخير، نشكر الرب.

-حسنًا، كثير من الأوقات شرور بعض مِن البشر تكون خطوةً في طريقنا، لكنني أفكر في زقاق الجرذان حيث أضاع الموتى عظامهم، لقد رأيت علامَةً تدُل على وجود كنزٍ دفين وأنا أتسكع صُدفَةً أمام دارك، أنت تمتلك ما لا يمتلِكه أحد، وأنا أيضًا كذَلك، علينا أن نتجِد سويًا يا بطرس.

-ما هي تِلكَ العلامة التي رأيتها؟

-جُعران، رأيت جُعرانًا خَرَجَ مِن أسفل الأترِبة، أهذا لا يكفى كدليل؟!

لكِن أيها الكاهن، قد تكون خنفساء وليس جُعرانًا، لماذا أنت واثِق هكذا؟-

-قبل اتصال يوحنا لي، راودتني رؤيةٍ تؤكِد صدق ما رأيته، هذه إحدى العلامات أيضًا، حدثتني الرؤية إنها قامت بإرسال ذَلِك الجُعران.

يتزايد صوت مواء القطة بقوة ولا يلتفت له أحدٌ، سوى الكاهن فقط قائِلةً له: سوف تبتسم ابتسامة على العرش العظيم وستُشفى مِن آلامك، ستمتَلِك قوانين أخطر مِن أن تعلم، ستخوض حربًا وإن حظيت بالفوز فلن تكون بشريًا حينها، سوف تنجِب نفسك مُجددًا، سترى مصدر السعادة ولا مكان للتعاسة، لا مكان للإحباط والخزي، فالقبور لا تُسقى بالدعاء، ولكِن تسقى بالتنقيب والسعي نحو المُراد الذي أنت ولِدت مِن أجلَه، أنت على مقربةٍ مِن مُمارسة الشيء اللامفهوم، الطريق داخِل السرداب ليس مُستقيمًا بَل هو متعرِج ومنحدَر، حينَ تَجد البردية، ستُلاحَظ بروز ضوء القمر حينها عليك التحرك،أُساعِدك وأمدك بالمعلومات؛ لأن واقعك المسموم لا يروق لي، ستَجِد جُملَةً عليك إعرابها ستكون مبنية للمجهول.

-لماذا تُحدِّق بقوة أيها الكاهن هكذا، وجسدك أيضًا يرتعش؟

-إنها مواء القطة أصدرت لي بعض الرسائل.

-عن أي قطة تتحدث؟

-قطة سوداء اللون مفقوعة العينين، لحظة ها هي جاءت مرة أخرى.

-عند دخولك الدار ستجد غُرفةً على يسارك، عندما تدخل ستجد أربع زوايا، عليك بالتنقيب عند الزاوية الثالثة المقابلة لباب الغرفة، حينها ستشعُر بهلوسة تراقِص نعيق الغربان، أصوات في كُل مكان، ساقك بالأرضية يكاد أن يلتصق عند التنقيب، ستسمع طَرقَ باب المنزل لا تكترث له، عند حفرك لأول متر ستجد يقطينة لا تقُم بفتحها لأنها محمِلة بأرواح شريرة، صُداع، صُداع، صرخات تتعالى ستسمع أطفال يموتون قتلًا وحرقًا، ستقول: أين أنا؟ أين أنتم؟

سترى الشيطان ملاكًا لا تلمس كل ما تراه جميلًا، إذ لمِسته سيكون سببًا في هلاكك، إن تمَكَنَت كلمات البردية مِن عقلك، ستسكُنك لعنتها وحينها سيكون طريقك للسرداب سهلاً، هي لا تريد مَن معك هم مجرد أسباب، هي تُريدك أنت لامتلاكك جُزءًا من الصولجان، لن ترى البشر مجددًا ستكون لها، لها فقط، سيُخيل لك أيضًا وهج مِن النار يصارع ويلتهم كل ما يقف أمامه مِن عشبٍ وأشجار تُقتَل حرقًا، والحيوانات تهرول كأنها غاضبة مِن شيء، لكن ستجد كوخًا خشبياً أعلى شجرةٍ بداخِلها الملكة نفتيس واقفة مِن الشرفة مبتسمة لك وتحمِل الجزء الآخر من الصولجان، ثم يلتهمها وهج النار وهذه رسالةً لك لتُكمِل ولا تيأس لتحرير روحِها.

-حسنًا متى سوف نبدأ بالتنقيب؟

-غدًا، عند انتصاف ليل المدينة، لكِن عليك أن تعلم أيها الكاهن داخِل البردية مخطوطة صغيرة مِن كتاب الموتى، تحتوي على رسالة أبدية خالدة يغمُرها الغموض، عليك استعمال المخطوطة الصغيرة عند الضرورة إذا واجهتك كائنات في رحتلك إلى الصحراء تحتوي المخطوطة على جُملةٍ يصعب فهمها، وهي: ابتعد يا مَن سكنت الصحراء، عُد إلى هيئتك الحقيقة، عليك استخدامها رافعًا يديك بالمخطوطة، لتتجنب المخاطر.

أيها الكاهن، ماذا أصابك؟-

-بطرس علينا أن نبدأ غدًا، عند انتصاف ليل المدينة، القطة قامت بتحديد الموعد الموعود، أعلم أيضًا ما الجُزء الذي سوف نبدأ بالتنقيب به.

-حسنًا أيها الكاهن، لا بأس سوف نرى غدًا، ما سوف يحدث؟!

-يوحنا، أريدك في شيءٍ ما وهو أن تجلب لنا بعض الأدوات اللازمة للحفر، علينا تجهيز كل شيء مِن الآن الأمر أصبح في غاية الغرابة، وأنت يا بطرس عليك بإخلاء الدار غدًا.

-ها نحن في بداية استرجاع الزمن العتيق، لا يوجد متسعٌ مِن الوقت، علينا البدء الآن، ليظهر بروز ضوء القمر، إحدى علامات الكنز.

لا أحد يفتح تِلكَ اليقطينة التي أخرجتها، لاحتوائِها على أرواح شريرة، ما هذه الورقة؟

-احترس، فقط حاول أن تحسب خطواتك جيدًا قبل أن تخطوها فأنت على وشك القيام بأمر لم تعتد عليه من قبل، والأخطر من ذلك أنك لا تدري ما هي عواقبه الحقيقية.

-هل رأيت هذا يا بطرس، الشيء الذي عبر مِن أمامنا؟

-نعم، يوحنا، رأيت وجهًا شاحبًا إلى حد كبير، يبدو عليه الغضب أيضًا، نحن نتصبب عرقًا ويدانا ترتجف بشدة، والكاهن لا يُبالي بشيء قط، انظر إلى تِلك العين التي تحدق بنا أعلى الغُرفة!! الويل، أنا لا أشعر بأطرافي مُطلقًا، وكل خلية في جسدي باتت ترتعش، هل الطقس بارِد؟ أم هذه أعراض لعنَةٍ ما أصابتنا؟

-ما هذه الصيحات التي تتصاعد مِن داخِل الزقاق تُمزق القلوب!

-يا رفاق، لقد بلغت موضِعًا يبعُد ثلاث كيلومترات وهناك شيءٌ ما يلمع بالأسفل، هُناك صوت ما يقول: الويل لمَن يسخر مِن أجداده.

-حتمًا نحن لن نسخر مِن أجدادِنا أنتم لنا ونحن لكم.

صوتٌ يُهَمهِم قائلًا:"ها أنت في طريقك على أن تعقد اتفاقًا مع الإله ست إله الموت، عليك أن تبيع له روحك مقابل أن يعطيك قوة خارقة مظلمة، عليك أن تفعل بعض الطقوس على جسد الملكة نفتيس.

-علينا أن نُنجِز المُهِمّة، نحنُ على مقربةٍ لتحقيق مُرادِنا لقد وجدت البردية وسوف تقودنا نحو السرداب، مُتمنيًا ألا نواجِه عواقِب نحو الطريق.

-يوحنا أمسك تِلكَ البردية، سوف أتولى القيادة.

- حسنًا، أيها الكاهن.

-بطرس، هناكَ شيءٌ خرجَ مِن البردية وقام بلدغي، لا أعلم ما هو! لكنني أشعُر بالدوار، أشعُر أنني أحتضِر.

-أيها الكاهِن، عليك أن تتوقف، قطيع مِن الغربان أراها، حتمًا سوف تصطدِم بالسيارة كدنا أن نلقي حتفِنا.

-علينا أن نُكمِل، لا تخف انها مجرد أوهام، وعلينا تقبُل الأوهام بكل ما أوتينا من قوة ولا نخضع ولا نستسلم، لنحصل على الحياة الأزلية المطلقة.

-بطرس، أشعر بشيء ما، أشعُر كأنني عظيمًا تعتريني الصلابة.

- أيها الكاهن، لماذا يوحنا يتحدث هكذا؟

-لقد تغير صوته عن السابق، ولا أدري شيئًا سوى إنني خائِف وقلِق بشأن مصيرنا، لا أسمع سوى أصوات مُخيفة ولا أدري ما مصدرها! لعلَّها لعنة ما.

-لا تكترث لهذه الأصوات يا بطرس؛ لأنها نابعة مِن داخِلك، نحنُ نعيش مغامرة علينا تحمل كُل شيء بها، لعل العواقب تكون سببًا في شيء يُفيدنا جميعًا.

-انظُر أيها الكاهن، هُناك عنكبوت ضخم قادم أمامنا، حاول أن تتفادى قبل أن يلتهمنا بالسيارة، إنه يقترب نحونا.

-لا تقلق يا بطرس، أعطني البردية يا يوحنا، لنتجنب ابتلاع العنكبوت لنا.

-لن أعطيها لكَ، إنها لي.

-هل فقدت عقلك؟

- لن أفقِدهُ، لكنني طامِحٌ بها، أوقِف السيارة الآن، قبل أن تلفظ أنفاسكُم.

-يوحنا أعطِ البردية للكاهن، لا تكُن ضئيل الفكر ولا تتصرف كالمجنون، سوف ينقذنا الكاهن مِن شر العنكبوت؛ لأنه يعلم ما لا نعلمهُ، لقد تجمدت الدماء في عروقي، نكادُ أن نفقِد الأمل وحياتنا الكريمة، أما أن نتحول إلى

ملائِكة تتمنى الخير، وأما نكون تائهين ومصيرنا ينتهي بين فك العنكبوت، فكر جيدًا علينا العودة والنهوض مِن جديد.

-لا، لن أعطيها له، عما قريب سأتحول إلى شيطان رجيم يتمنى تدمير العالم بأجمعه لينتقِم عما حدث له.

-ماذا نفعل أيها الكاهن؟

-انتظِر، إنه مُصاب بلعنَةٍ ما.

-يوحنا، لماذا نحن وليسَ العنكبوت؟

-رد بقسوةً قائِلًا: قُدر لنا الموت فنموت سويًا، سوف نذهب هُناك لما وراء المجهول ولستُ خائِفًا على نفسي ولا عليكم.

حرارة جسدي تزداد أكثر فأكثر، استجمعتُ قوتي وما تبقى من شجاعتي وقمت باستخدام تعاويذ البردية لصالحي فقط وخاطبته، وهنا يتحدث الكيان الخفى مُخبرًا: بأنه سيكون طوع أمري هو وقبيلته ولكن بشرط تنفيذ بقية الطقوس وإلا تحولت حياتي إلى جحيم ولن ينقذني منه شيءٌ حتى أنه لن يسمح لي بالموت، راودني هنا الطمع داء البشر القاتل، فسألته: ما المتبقي فأخبرني؟

قال: عليك أن تقتِل كُل مَن معك وأحضر له دماءكُم، وأن أخرِج قلوبَكُم وأدفنهُ فى إحدى المقابر، انظُروا فك العنكوب مفتوح على مصرعيه أخذ الصراخ بفزع يتعالى داخل السيارة.

-لماذا تنظُر إليّ بتمعُن أيها الكاهن؟

أحاول أن أتذكر الجُملة التي قالتها القطة لي ونحن جالسون على المقهى يا بطرس، الجُملة التي بالمخطوطة الصغيرة داخل البردية؛ لنتخلص مِن

الهلاك الذي ينتظِرنا خارج السيارة، وحين نتخلص منه سنفعل ما بوسعنا لنُخلِص يوحنا مِن اللعنة التي تعتريه، لا أعلم مصدرها.

-هدىء مِن روعك، وحاول أن تتذكرها ولعلَّها تُنقِذ يوحنا أيضًا.

-لا تقلق، لقد اقتربت مِن تذكُرها ها أنا تذكرتها سوف أخرج مِن السيارة لأتخلص مِن العنكبوت، لا تخف وحاول أن تُساعد يوحنا ليعود لطبيعته.

-حسنًا أيها الكاهن، سوف أتلو عليه آيات مِن الكتاب المُقدس.

-جيد، أنا ذاهِب الآن، ابتعد يا مَن سكنت الصحراء، عد إلى هيئتك الحقيقة.

-لقد تخلصت مِن العنكبوب يا بطرس، كيف حال يوحنا؟

حينَ خرجت مِن السيارة، ظَل يهرطِق بالكلمات الغير مفهومة وبدأ جسده بالارتجاف في لحظة قراءتي عليه آيات مِن الكتاب المقدس، ثم تثاءب بِشدة يصاحِب معها صراخ كأنه يحتضِر، وهو نائم الآن، أتمنى أن لا تحدث عواقِب أخرى.

-حسنًا، الآن علينا أن نتجِه نحو السرداب سوف نعلم مقره حين تتوقف مؤشرات البوصلة.

-أيها الكاهن، لقد استيقظ يوحنا.

-كيف حالك الآن؟

-أشعُر بدوار وألم داخل رأسي، ما الذي حدث؟

-لا شيء، كدنا أن نصِل لمُرادَنا.

-يا رفاق، لقد توقفت مؤشرات البوصلة، يجب أن نخرج من السيارة.

-حسنًا هيا بنا، ولكن نحن خائفون.

-لا تخافوا، علينا اجتياز المخاطر القادمة، أعطني البردية يوحنا، قوموا بتجهيز الأدوات اللازمة للحفر، علينا إنهاء ما بدأنا.

-أيها الكاهن، لقد وجدنا ذَلِكَ الخنجر وعليه نقشًا لشخصٍ ما.

-إنه الإله ست، رُبما أطعن به نفسي لأتحول إلى شخص خارق.

-يا للهول! ماذا يحدُث؟

-الرمال تنزلِق للأسفل، بدأت النيران تنفتح مِن الداخل، وصدر مِن الكاهن ضحكةً تُشبِه ضحكات المُتلبسين بالجن، يبدو أن الأمر لن ينتهى أبدًا لقد بدأت أشعُر بالإرهاق والتعب حقًا، ماذا فعلت أنا حتى يحدث لي ذَلِك؟

-انظر أيها الكاهن، هناك ممر ما، يا للهول! مجموعة مِن الجُرذان على جُدران الممر ساعيةً للخروج كأن شيئًا يُلاحِقها في نهاية الممر، علينا الحذر من غرز أنيابها في أجسادنا.

-لا تقلقوا يا رفاق، إنها حبيسة الدهر تسعى للنور، علينا العثور على تابوت الملكة لتحقيق نبوءة الرؤية، هياكل عظمية أتيةً مِن أمامنا، حامِلةً رماح تريد أن تُصارِع و تهاجم بشراسة، أطفئِوا أضواء الكشافات، سنستغرق بعض الوقت للسيطرة عليها، تغذت الحشرات والزواحف الصغيرة على أجسادهم في الظلام الدامس، هم أيضًا يريدون التحرر لذلِك يسعون لدس الخوف وعدم الأمان لحماية تابوت الملكة، السحر شر مُبين سيدمرك قبل أن مَن صنعته لحماية نفسها مِن شر السطو على تابوتها، حتمًا نحن في حمايتها لأنها مَن أرسلتنا لها، هناك ضربات قوية خلف جُدران الممر لا تكترثوا لها، علينا مواجهة الصعوبات لنحظى بالكثير بتقوية النفس الحالِمة لتحقيق حلمها، اطفىء ضوء الكشاف يوحنا علينا أن نعبُر في الظلام لنتجنبهُم.

-خائف أيها الكاهن، لن أطفئه.

-لحظة لمحت شيئًا مكتوبًا داخل البردية: (عليك إخراج جُزء الصولجان لتكتمل مسيرة الشر التي جئتُ مِن أجلها، قبل الموت المحتوم)

-لماذا تخرج الجُزء؟ ألا تخاف أن تلتهمه العظام؟

-انظروا لقد تخلصنا مِن العظام المتحركة نحنُ الآن في حماية الملكة، لماذا كُل هذا البُكاء؟

-ألا تشعُر بالخوف أيها الكاهن،أانت لا تُبالي بشيء، شعُور غريب لا يتوقف ولا نعرف مصدره، وأنت تسببت ذلك في لمحة بصر، أصبحنا مُحاصرين بين لعنات كثيرة ومواجهات صعبة لا نعرف نهايتها، اللعنة الحقيقة لعنة داء البشر.

-يا رفاق نحن الآن فى نهاية الممر، وعلى أبواب مدخل السرداب الطويل الممتد حيث الغرفة المسحورة، هناك دُخان ينبعث مُصاحبًا لوهج مِن النيران.

-صاح أحدهم، الدخان يؤكد وجود أشباح كفى غموضًا والرعب المحيط بنا، سوف نحترق.

-انظُروا، وهج النار يُعلن استسلامه ويأسه، حينَ فقد آخر شعلة كان يصارع لإبقائها حية ولم يفلح، لقد أصبح دُخانًا متناثرًا، لن يكون هناك قلق وتوتر بعد الآن، يا للهول، تماثيل ذهبية لامِعة مُزينة في غاية الروعة والأناقة، لندخل السرداب الآن.

- بطرس، يعتريني الخوف، لن أحتمل المزيد من العواقب.

-أنا أيضًا يوحنا، لكن انظُر ها هو التابوت داخِل بركة الزئبق، الكاهن يا يوحنا يمِد يديه التي يمسك بها جزء الصولجان، يا إلهي!! خرج الجزء الآخر المفقود مُكَمِلًا ذاته.

-الويل بطرس، جسد الكاهِن يرتجِف بشدة لم أرهُ هكذا مِن قبل، بَل كان متماسكًا.

أيها الكاهن، ماذا بك؟-

-لقد اكتمل الصولجان لا موت بعد الآن، أحيا إلى الأبد، خالدًا.

ها أنا أشعُر بروح الإله ست، أصبحتُ الآن أهم آلهة مصر الآن، أنا إله الصحارى والعواصف والأعاصير الرعدية والزلازل، رمز للقوة والعزم، جبار الباطِش جالبًا للنصر أنا رايته، أزليٌ الآن، أنا الجانب المُظلِم الذي هو مُكمِل للضياء فلولا الظُلمة ما كان الضياء حليفًا قويًا، إني صديقٌ للموتى أساعدهم على الصعود إلى السماء، حاميًا للحياة، مانِحها لِواحات الصحراء، لستُ إله الشر بل إله السلب الذي هو نقيض الإيجاب، أصتفيتَكم لنفسي.

*****

صرخةُ مُستغيثٍ

-هل يجوز صرخة المُستغيث تتوقف عِند إعدامه ظُلمًا؟

أمتِلك إجابة يا أبي قبل أنأافهم مغزى السؤال؛ العلاقات هي التي تبني المجتمع فإذا كانت تِلكَ العلاقات غير جديرةٍ بالثقة فهنيئًا لمجتمع لقى حتفه، في وقت عنف وتهديدات فأنت مضطر على الموافقة، يا أبي أمتلك رفض للمسار الزمني وكوني راكعًا، داخِل عقلي أحكُم دولة دستورها قائمًا على كل الأفكار المُتاحة والتي بيعتبرونها شاذه، أهابُ أن أطبِقها على أرض الواقع، دولتي هي دولة الإنسان، الفنون بكافة أنواعِها بجمهورتي فرض، وأي عدو للحُرية سوف يعاقب بتهمة الخيانة، أتدرى يا أبي أرى نفسي موسى وأنت يوشع بن نون.

-ماذا تقصد يا ماجد كوني يوشع؟

-لا تقلق يا أبي، مقصدي هو أنني اتخذتك رفيقًا للاستئناس والاستعانة بك عند الحاجة كما اتخذ موسى -عليه السلام- يوشع بن نون رفيقًا له خلال رحلته، لقد شبهتك به لأنك تقوم بتوزيع الأدوار والمهام وتُخَفِف الأعباء، حيث يجب على الجميع تحمل مسئولية الخطأ، وأنت تحملتني بكُل سيئاتي ومأساتي.

-هل هيئتي هيئة قاتِل؟

-هكذا سأل همام القاضي أثناء مُحاكمته.

-وماذا كان رد القاضي يا أبي؟

-نعم، هيئتك تدُل على أنك قاتل وقام بإدانته، وكأنه يملُك سُلطة الرحمن على الأرض.

-أريد سماع قصة همام يا أبي.

-حسنًا ماجد، همام كان رجُلًا يعمل في الزراعة، وكان مفتول العضلات، وكان جميع الناس يقرأون على وجهَه علامات غرائز شريرة، همام شخصٌ خجول وتم اتهامه بالمكر، فأصبح كتومًا ولا أعلم إذا كان يشعُر بالخير والشر شعورًا عميقًا، لكنني أعلم أنهم كانوا يؤذون همام فأصبح حقودًا أحَبَ الانتقام، ولم ينل عطف أحدٍ، كان مُهيأً على أن يُحِب الناس ولكن لم يفهمه أحد فأصبح كارِهًا للجنس البشري، وبالرغم مِن صلابة هيئته فكان ينال حُبًا مِن الحيوانات الأليفة المُتسكِعة في أرضه، وذات يومٍ ما وهو يعمل في أرضه لزراعتها بكُل ما لذ وطاب، بعد إنهاء يومه العصيب ذهب لينال قسطًا مِن الراحة، ثم فجأةً انقضت دورية الشرطة أمام بيته فزِع همام مِن سُباته وهو لا يعلم ما يحدث، أخذته الشرطة، وتم التحقيق مع همام وليد الفقر والشقاء ويداه المشققة، وهو في ريعان شبابه، أثناء تحقيق ضابط المباحث الذي يُدعى عشماوي قائِلًا: وجدنا جثة امرأة في أرضك مدفونة بجانِب شجرة التوت، وعلى جسدها علامات تعذيب وتعنيف، أدت إلى قتلها.

همسَ ماجد قائِلًا:

-مُغفلة يفتنها ذاك الخبيث الذي تدثربرداء الأحرار وهو من العبيد.

-أتقول شيئًا يا بُني؟!

- أنصِت إليك فحسب يا أبي، أكمل.

-الأقوى دائِمًا هو الصحيح، والأضعف يستسلم ولم يقُل شيئًا، فقط يُطيع الأوامر، لو كُل شخصٍ طلب حقه الدنيا لن تَسِعنا.

- لكِن يا أبي، الحق أحق بأن يُتبع، أليس كذَلِك؟!

-كما قُلت لي في بداية حديثنا، في وقت عنف وتهديدات فأنت مُضطر على الموافقة، إذن تم محو الحق هُنا.

-هل أنصَت القاضي إلى همام؟

-نعم يا بُني، لقد أنصَت إلى همام، ودخل في استئناف القضية، التي تحولت إلى قضية رأي عام.

-هل دافع همام عن نفسه في تِلك الجريمة التي لم يرتكبها؟

-بكُل تأكيد، قال: (يا سيادة القاضي لستُ مُذنبًا في اختيار مظهري، لو كانت الجريمة تُحسَب بالمظاهر فهنيئًا بالظُلم لكُل مَن يحمِل وجهًا ذا غرائز شريرة، فكُل مِنا كبشر نحمِل بداخِلنا عدة جوانِب؛ جانِب مُظلِم، وجانِب مُضيء، جانِب يحمل الخير، والآخر يحمل الشر.

سأل القاضي همام، قائِلًا:ماذا تعلم يا متهم بالخير والشر؟

-أيها القاضي، لا أحبِذ أن تُلقبني بالمُتهم؛ لأني لم أرتكب جُرمًا.

-اصمُت فكُل مَن يدخُل المحكمة هو حتمًا مُذنِبًا.

-يا سيادة القاضي، أنا أعلم أنني لا أعرف القراءة والكتابة، لكنني أعلم حقيقة عملك فأنت تعمل لإنصاف الطرف المظلوم، أمامك ميزان يحمِل كفتين متساويتين ليدُل على العدل، ولا يدُل على الظُلم، تذكر جيدًا أن عملك هو الإنصاف.

-أنا أعلم مِنك بحقيقة عملي، فلتؤجل قضيتك لمُدة خمسة عشر يومًا؛ لكي نُعيد ترتيب حسم القضية بالنظر في الأوراق المُقدمة ضِدك.

-وماذا حَل بهمام خلال مُدة التأجيل؟

-بات مظلومًا داخل السجن يُناجي ربه، ليُقدم له العفو؛ لأنه يعلم ما بداخِل همام مِن ظُلم، مُناجاة المظلوم يا بُني، أشبه بلوحة كبيرة داخِلها تحمل رسومات غير مفهومة وعليك حل لغُز تِلك الرسومات، فلا أحد يدري ما مغزى الإله من استجابة الدعاء مِن عدمه؟

- ولكِن، يا بُني، اعتقاد البشر هُنا إذ لم يستجيب الإله؛ عندما يحدُث لك شرًا سوف تقول عقابًا، وعندما يحدُث لك خيرًا سوف تقول ثوابًا مِن الإله، ولا أحد يعلم يا بُني حكمة الإله هُنا، وليسَ مِن صالحِك يا بُني الدُنيا تكون غابة لأنك الطرف الضعيف. فما بالك يا بُني بوضع همام، فهل الشر الذي أصابه يعد اختبارًا له؟

-ولماذا لم يلملِم همام شتات قواه العقلية في اتخاذ حَل رادع كالهرب مثلًا؟

-همام يا بُني، وهو بداخل السجن في إحدى جوانبه يجلس كهلٌ ومِن الواضح على ملامحِه أنه شخصٌ يحمِل طيبة القلب، حينَ حدثهُ همام قائِلًا له: أيها الكهل أريدك في شيء ما.

-تفضل يا رفيق الجُدران، أنا أنصِت إليك.

-شكرًا لك، لكنني مُتهم في قضية قتل لم أرتكِبها، ماذا عساني أن أفعل وأنا على حافة الإعدام؟

-يا رفيق الجُدران، لقد ارتكبت العديد مِن الجرائم ولا زلتُ سجين عدة سنوات و لم يتم مُحاكمتي بشيء سوى تجديد المُدة؛ الحياة عشوائية وقد تكون دودة القز التي تقوم بصُنع خيوط الحرير قد تُشعِل نيرانًا في الحرير التي أنتجته، يا رفيقي، لقد تمنيتُ الموت في كُل ليلة ولم أنل راحتي الأبدية بعد، وها أنت خائِف مِن الإعدام.

- لكِن، لماذا؟

-لأنني مظلومٌ.

-أعلم ذَلِكَ، أنا لستُ مظلومًا ولم ألتق برحمة الإله بعد، أنت مظلوم لكِن، عليك أن تعلم أن محكمة الإله تغمُرها الرحمة والعدل.

-حسنًا، أيها الكهل، لقد أطمئن قلبي.

-ماذا بعد يا أبي؟

لا شيء يا ماجد، انتهت مُدة التأجيل وتم إصدار الحكم بإعدام همام وليد الظُلم. لكِن هناك عبرة في تِلك القصة، التي لم أندم على أن أقصها لك؛ لأنني جُزء مِن القصة، أنت تعلم يا ماجد أنني ضابط المباحث اسمى داخِل القسم هو عشماوي، المُشترِك في إعدام همام.

-كيف حدث ذَلِكَ يا....؟

-لماذا لم تُناديني بأبي؟

-لأنني لم أُفكِر قط بأنك فاسِد.

-مهلًا يا ماجد، كُنت مضطر على الموافقة؛ لأنني كُنت في عمق التهديدات والعنف، ابن رئيس مجلس إدارة المنطقة اسمه همام، وأنا رئيس مباحث المنطقة الذي أعدَم يحمِل نفس اسم الرئيس، وتم تزوير الأوراق لِذَلِك تم وقوع همام وليد الظُلم في فخ السلطة، قُمت بالبوح لكَ؛ لأنك تُريد أن تصبح ضابطًا مِثلي، لا تخضع لأي مِن التهديدات حتى لو تم قتلك، فأن تموت أفضل مِن العيش على تأنيب الضمير.

لا زال أهل القرية لا يعرفون الفرق بين

عواء الذئاب وعواء الكلاب.

فهرس المحتويات

الإهداء ٥
المقدمة ٧
وهج النار ٩
مُناجاةُ المَنبوذ ١١
كفى احتفالًا ١٤
سُلطة الأبوة ١٧
تتقَيأ استغلالًا ٢٠
بِذرةُ نِفاق ٢٣
المُريد ٢٦
المُثقف والشُّرطيّ ٣٠
البوكَر ٣٦
ازدراء القُبح ٤١
ازدراء الجسد ٤٤
اجتماع العدالة ٤٧
الحمار الطموح ٥٠

هلاوس مِش كاتِب ٥٣
أضغاث أَحْلامٍ ٥٨
المُشاغِب ٦٢
عالم آخر ٦٦
مِن المَهد إلى اللّحد ٧٠
طاووس الجنة ٧٦
المَوتُ حقٌ ٨٠
الذواقة ٨٥
الشيطان والآنسة ريم ٩٠
غموضٌ في مصر القديمة ٩٤
صرخةُ مُستغيثٍ ١٠٧

صمتًا رجاءً

رأيت وهج النار، يُصارع ويأكل كُل ما يقف امامهُ من عُشب واشجار وأوراقٍ مُتساقطة؛ يأكل كل شيء وأي شيء يقف أمامهُ ولا أحد يدري
ولكن هُناك كوخ خشبي أعلى شجرةٍ ما، في تلك الغابة.
يبعد ذلك الوهج الناري بحوالي خمسون كيلو، داخل ذلك الكوخ أم تعد الغداء في الساعة الثالثة عصرًا وابنتها الصغيرة نائمة نومًا ليس عميقًا حتى يصبح الغداء جاهزًا، وفي نومها حلمت بذلك الوهج الناري المُتمدد وهي تقف في شرفة غرفتها ووجهها شاحب من الرعب، حين رأت ذلك المنظر المُرعب وسُرعان ما استيقظت مفزوعة وراحت تجري نحو المطبخ لتُخبر أمها بذلك الحلم المُرعب؛ ليس حلمًا بل كابوسًا وظلت تحكي لأمها خوفًا من أن يتحقق ذلك الكابوس المُخيف، أمها هدأت من فزعها، فالأم تعلم بأن هُناك شيئًا مريبًا يحدث في الغابة حقًا حين لاحظت من شرفة المطبخ، الطيور تطير في هرولة تكاد أن تسقط من هرولتها إلى الأرض وأيضًا الأغنام وكل دابةٍ تجري بهرولة..

- هل ابنتي تتنبأ ما يحدث بالمستقبل حقًا؟

لقد رأيتُ الحيوانات و الطيور تُهرول كأنها غاضبة من شيء، تُريد إنقاذ نفسها..
- هل هذا معقول؟

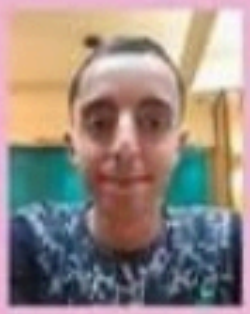

حسن أشرف

صمتًا رجاءً
حسن أشرف

(تصميم الغلاف: فارس ايهاب)